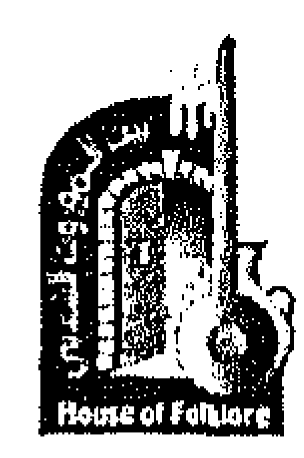


من إصدارات
بيت الموروث الشعبي ١
House of Folklore
بدعم وتمويل مؤسسة حماية
الآثار والتراث الثقافي FPACH
(للذاكرة الآتي)
المدرهة
كتاب يوثق لمهرجان المدرهة الأول
صنعاء ١٢-١٤ يناير ٢٠٠٥م

من إصدارات
بيت الموروث الشعبي (١)



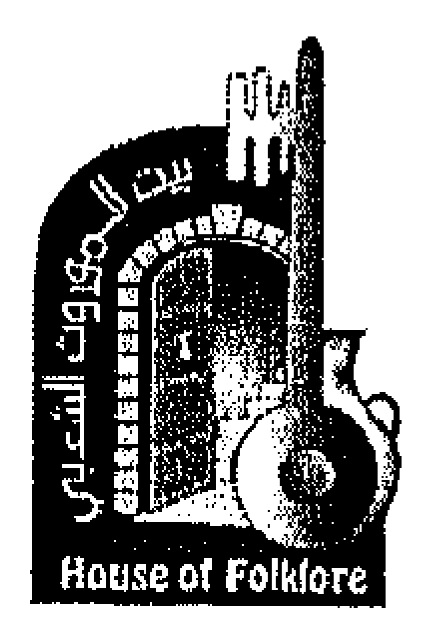
بدعم وتمويل مؤسسة حماية
الآثار والتراث الثقافي FPACH

المدرهـة

كتاب يوثق لمهرجان المدرهة الأول

١٢ - ١٤ يناير ٢٠٠٥م (مسرح الهواء الطلق - صنعاء القديمة)

بيت الموروث الشعبي
House Of Folklore



الجمهورية اليمنية
صنعاء - باب البلقة
ص. ب: ٣٣٠٨١
تلفون: ٤٨١٣٦٠-٩٦٧١+
فاكس: ٤٨٢١٧٨-٩٦٧١+
موبايل: ٧١٦٢٥٦٦٧-٩٦٧+

Republic of Yemen
Sana'a Bab Al-Balaka
P.O.Box: 33081
Tel.: +9671-481360
Fax: +9671-482178
Mobile: +967-71625667
www.yemenfolk.org
info@yemenfolk.org

الإخراج والتنفيذ:
مؤسسة المرام  **للخدمات الاعلامية ت: ٢٠٧٨٢٢-٠١**
(طارق السامعي)

ذاكرة المدرهة.. في إشارات

● بدأت فكرة المدرهة تشغل حيزاً من تفكيري منذ سنوات عديدة، خاصة بعد أن كنت قد سمعت عن هذا الطقس من أكثر من واحد أكان يقطن في مدينة صنعاء القديمة أو في ضواحيها، سمعت بعض تغاريدها من أفواههم، وإن كانت بغير تلحين، كتلك التي تقال أثناء التدره.

في عام ١٩٩٧م سجلت نزولاً ميدانياً إلى صنعاء القديمة كانت عدتي دفتراً وقلماً وكاميرا فوتوغرافية من الدرجة العاشرة، علاوة على جهاز تسجيل، كان الأخ محمد الغراسي -الباحث بمركز الدراسات والبحوث اليمني- قد أخبرني عن جارة لهم ذهبت إلى الحج، وسينصبون لها مدرهة وستجتمع النساء في العصرية ليتدرهن فيها.

ذهبت بغية استطلاع طقس التدره عن قرب ولأسجل ملاحظاتي، وأوثق ما استطعت.

كان الحوش (الحوية) صغيراً تطل عليه بيوتات صنعاء، والنسوة اللواتي تقاطرن إليه من مختلف الأعمار حتى الأطفال كانوا يتزاحمون، والكل متحمس يريد أن يتدره.

كانت المدرهة متواضعة جداً مصنوعة من ألواح خشب عادية كالتي تستخدم في الأثاث، فلا هي صنعت بالطريقة القديمة، ولا أيضاً صنعت بالطريقة الحديثة (الحديد).

ولأن الحوش صغير، لم أعرف من أين أبدأ التصوير، فكانت الصور مبتورة.. ولم

يمانع أحد بالتصوير، فبأدب جم، قيل لي لا تصوري هذا الصف من النساء، واطلقن حريتي في تصوير ما تبقى (كالفاتشات) من الصغيرات، أو أولئك المتغطيات بـ(المغمق) الصنعاني.

صورت المتدرهات، وهن متغطيات بالستارة الصنعانية.

أما التسجيل فكان الضجيج طاغياً على الإنشاد حيث لم أكن أملك ميكرفوناً، أو مسجلاً خاصاً بالتوثيق، وإنما مسجل متواضع من ذلك الذي يستخدمه الصحافيون.

لكن كتبت كثيراً من المغارد، وسمعت الكثير من طقوس المدرهة.

وبعد فترة نشرت مقالاً في ملحق «الجمهورية الثقافية» وعملت نفس الشيء بعد أكثر من سنة في ملحق «الثورة الثقافي»، حيث نشرت سلسلة من أربع حلقات في عمودي الثابت آنذاك «شعبيات» عام ٢٠٠٠م ثم صغتها كدراسة أولية لمجلة المأثورات الشعبية القطرية التي نشرتها عام ٢٠٠٢م.

وظل هاجس المدرهة يكبر في ذهني، إذ لم يشبعني تناوله بتلك الطريقة المبتسرة، إلى أن أتت فكرة إخراج هذا الطقس الجميل إلى النور بطريقة أخرى ليس فقط من خلال ممارسته داخل الحويات والأحواش المغلقة، ولكن في فضاء مفتوح، لتعريف القاصي والداني بأهم التقاليد العريقة لمدينة صنعاء إلى جانب عمرانها الساحر، أما الهدف الآخر، فهو التعريف بثقافتنا بما يتجاوز كونها ثقافة الخنجر (الجنبية) فقط، فصنعاء تملك مخزوناً ثرياً من الطقوس والتقاليد الرائعة.

كان ذلك بداية عام صنعاء عاصمة للثقافة العربية، وكنت أريد أن أعرض تصوراً حول الفكرة في الصحف والمجلات، ثم انشغلت بتأسيس بيت الموروث الشعبي، وتم ذلك في إبريل من عام ٢٠٠٤ م، فقررت: لماذا لا يقوم البيت بتنفيذ هذه الفكرة؟ في هذه الأثناء كنت متخبطة للغاية، أدرك أن الفكرة كبيرة، والحلم أكبر، وأدرك وبحسرة أن امكانيات البيت شحيحة حد الإملاق.

وبدأت رحلة المتاعب عندما قررت أن تظهر فكرة المهرجان إلى الوجود، حيث بدأت أتشاور في الأمر مع الأستاذ القدير عبد القادر الشيباني المعروف عنه اهتمامه الجاد بالتراث الشعبي، ووافقني الفكرة، ثم انضم الزميل سعيد عبد الفتاح الإداري الناجح، ليحول الفكرة إلى أرقام.

وكان ذلك.

وبدأ تشكل المربع المحدد لنطاق الحركة، ورابطت في عدة أماكن منذ الصباح، وحتى انتهاء الدوام الرسمي على مدى أيام وأسابيع، ولم أتوقف عن الركض المنظم في أروقة

ودهاليز المربع من وزارة الثقافة الأم إلى بناتها من بيت الثقافة، والمركز الثقافي - فصنعاء عاصمة للثقافة العربية، وهناك صندوق التراث، ثم الجري للضلع الأخير للمربع أمانة العاصمة -خاصة وقد تناهى إلى مسمعي، بل وبنبرة لا تخلو من القطع من قبل المقربين لها، أن أي فعالية تخص صنعاء سيدعمها بكل تأكيد أمين العاصمة-.

ولم يمر الكثير من الوقت حتى تكشف لي أن المربع مغلق، ومقلق في آن، حيث ظل اللهث من غير طائل، وبلا جدوى.

كنت أسترق بعض الوقت بين الحين والآخر من جو ذلك المربع الخانق، وأجري إلى صنعاء القديمة، وكنا ثلاثتنا نذهب إلى هناك في الصباح الباكر لنتفحص أرجاء المدينة، ونتدارس المكان لنصب المداره، وتداولنا في العديد من الخيارات، إما بستان السلطان، أو مسرح الهواء الطلق، وساحة أخرى.. الخ من الساحات المتواجدة في صنعاء القديمة، وفي الأخير استقر بنا الأمر على ساحتين، إما ساحة بستان السلطان، وإما ساحة مسرح الهواء الطلق، وبعد تفكير ومفاضلة كان التفكير قد رسا على مسرح الهواء الطلق الذي تطل عليه بيوتات صنعاء، والاتجاه الآخر من من النجارين الذي سيؤول إليه تصميم المداره على الطريقة التقليدية، ويكون نجاراً أمينا يأتي بجذع الأشجار المخصصة لهذا الغرض، ويتقن العمل خشية أن يحدث مكروه أثناء التدره.

وفي جبهة بعد الظهر واصلت أعمال المسح لمعرفة الأشخاص الذين ستوكل إليهم مهام التدره أثناء الحج (المتدرهين، والمتدرهات) ثم البحث والتنقيب عن التفاصيل المقرونة بطقوس الحجيج التي اختفت، والتي تمارس على نطاق ضيق، ثم طقوس الحياة العامة لمدينة صنعاء... الخ. أي تنفيذ جزئيات البرنامج الذي كنا قد أعددناه مسبقاً، بالرغم من أننا لا نعرف كيف سنحصل على تمويله لبدء التنفيذ.

كنت أحمل صباح كل يوم ذلك المربع الثقيل على ظهري، وأشرع مهرولة أسابق الوقت، أم أسابق الغبار في كل زوايا وثنايا ذلك المربع، والنتيجة لا منفذ، سوى ملاطيم ساخنة، وطعم الانهزام الذي أكنسه كل صباح.

ولولا حميمية المكان في صنعاء القديمة التي كانت تخفف من سخونة تلك الملاطيم التي تتفنن مؤسساتنا في إبداعها، بل وتتفنن في تجديدها كل صباح، لكنت على شفا حفرة من اليأس المميت.

الوقت يمر، والمربع يزداد ثقلاً كخرسانة، ولا من مجيب سوى الغوغاء، والصخب الوليمة (صنعاء عاصمة للثقافة العربية).

في تلك الاثناء كتب الأستاذ عبد القادر الشيباني موضوعاً في صحيفة «الميثاق» عن

فكرة المدرهة، وأن بيت الموروث الشعبي سيتبناها.

قلت للأستاذ عبد القادر، لا تتسرع في الكتابة عن المشروع، خصوصاً ونحن لم نصل بعد إلى شيء بشأن الفكرة لأننا سنكون كمن يطبق فكرة المثل «يحشحش البصل، والتيس بالجبل»، ثم إن الفكرة ستتسرب وتفتح شهية أولئك النفر من (أصحابنا) المتعهدين سرقة أفكار وجهود الآخرين، أو في أضعف الحالات تشويهها، وفي الأخير لن نحصد سوى مزيد من الرياح.

طلع المقال.. وكان جيداً، كان ذلك يوم الثلاثاء ٦ديسمبر ٢٠٠٤.

وفيما استمرت المرابطة -الملاحقة- للوزارتين، وإن تكثفت على وزارة الثقافة المعنية أكثر بأمر كهذا، ولم يمكن سوى مسرح لماراثون العبث واللامعقول.

يا (جناه والفعلة)

من الثلاثاء إلى الخميس يومان ولا غيرهما، وتفاجأنا بصحيفة نافذة، وفي الصفحة الأخيرة الملونة بأن رجل المال والأعمال (....) وبدعم جنابه يزمع القيام بعمل المداره في صنعاء القديمة، وعزمه على توثيقها سمعياً وبصرياً، نفس فكرتنا (التوثيق) خاصة أن بيت الموروث الشعبي ليست وظيفته فقط إحياء الطقوس التقليدية، وإنما توثيقها سمعياً وبصرياً.

يا (جناه والفعلة).. كما قال أحد إخوتنا، اتصلت ببعض الزملاء الذين كنت قد ناقشتهم حول فكرة المدرهة، وكانوا يعرفون مرابطتي في أروقة الثقافة وأمانة العاصمة.. كلهم أجمعوا بأنهم لم يروا ولم يسمعوا بإنجازات ذلك المخلوق العجيب رجل الأعمال أو حتى من يقف معه في الصحيفة (الغراء).

وتضاريت أفكارنا، هل نواصل ما كنا بدأناه، ولو أن الأفق انسد بالإحباط والانهزام، أم نتراجع؟! قلت للزملاء: مادام أن الفكرة هي نفسها، وستنفذ، إذن نغلق فكرة المهرجان من أصله، الأهم تنفيذها وإخراجها إلى النور.

ولم تمر ساعات، حتى كنت أتشاور مع أحد الاخوة الإعلاميين حول ما حدث، وكنت قد أخبرته بفكرة المهرجان في بيت الثقافة خلال احدى فعاليات التشكيل الياباني، قال لي: واصلي واشتغلي فكرتك، ما قيل في تلك الصحيفة كان محض جلسة قات، لن ينفذ منها شيء، وحدثني عن بعض الأمور.

المهم صدقته، لأنه إنسان جاد، ويعرف أصحاب هدرة المقايل، وللأمانة كنت سعيدة

بذلك القول، وأن أواصل الحلم، الحلم ليس إلا. ولن ندخل في متاهات من التفاصيل المؤلمة الكارهة للعمل وأن يعمل الآخرون.. تلك العقول الطافحة بالعنصرية التي تعتبر صنعاء مجرد دكان تدخل ضمن مقتنياتهم السلعية، وأنهم فقط هم المحبون لها ويُمنع أن يشاركهم هذه المحبة أي طرف كان.

مداره وهمية

تناهى إلى مسمعي أن رجل المال والأعمال قد نصب ٨٠ مدرهة، والآن يمتد مشروعه في منطقتي القاع والحصبة.

لم أقتنع بحرف واحد، فأنا قد جبت صنعاء القديمة طولاً وعرضاً، ولم أر مدرهة عدا مدرهة في حوش فلان، ومدرهة أخرى في حوش زعطان.

صممت على اللهاث لتنفيذ فكرة المهرجان وبأي طريقة، حتى لو استدنت كل مبالغ الفعالية، المهم أن أبدأ.

كنت أنا والزملاء، والعزيز عبد العزيز الزارقة وبعض أهالي صنعاء القديمة من الشيوخ، نجهد لمزيد من التأكد عن المداره الوهمية التي سمعنا بها، الكل في صنعاء يكذب ما نقوله عن الثمانين، أو حتى العشر مداره، لا أساس لها من الصحة، فتشنا كل زقاق وحارة وحوش عن تلك المداره فلم نجد إلا مدرهة حديد بنيت قبل عشرين سنة، ومدرهة أخرى في بيت أحد السكان، نفس ما كنا قد توصلنا إليه.

ثم بدأنا من جديد نستجمع قوانا، لنواصل ما بدأناه.

هدى الشرفي

ازددت إصراراً.. يجب أن ألاقي منفذاً.. حتى دعم بيت الموروث الذي كنت قد أسسته، كان بفكرة مثالية مغامرة، من أن صندوق التراث سيدعمني بتجهيز معدات التوثيق.. الخ، انبطحت أحلامي انبطاحاً ثقافياً متوجة بصنعاء عاصمة الثقافة العربية.

تذكرت الزميلات والزملاء الأعزاء الذين صفعتهم الوزارات الرسمية لتبطح برؤاهم الجميلة لاجتثاث الساكن، وكانوا قد نصحوني بالاتجاه للقطاع الخاص، فهو الوحيد الذي سيدعم: أما أن تتوقعي من وزارة، فلن تلاقي سوى الرماد الحارق، ومزيداً من الإهانات.

لاحت لي فكرة بالتوجه في اليوم التالي إلى الأستاذة هدى الشرفي التي أضحت

محطة مهمة على طريق ظهور المهرجان إلى الوجود، بل وساهمت بإنجاحه من حيث لا تدري.. كنت قد التقيتها في منزل الأستاذة القديرة أمة العليم السوسوة -وزيرة حقوق الإنسان- في رمضان المنصرم (٢٠٠٤م) في حضور وفد أمريكي مهتم بالمشاريع، وقد استمع حينها لبعض الناشطات في اليمن حيث تحدثت كل واحدة منا عن مشاريعها وهمومها.

كنت قد تحدثت عن مشروعي لإصدار سلسلة بيت الموروث الشعبي وباكورتها كتاب «قراءة أولية في السردية الشعبية» + «٧٠ حكاية شعبية» وأن وزارة الثقافة مستعدة لطباعته لكن بشرط عدم نزول شعار بيت الموروث الشعبي بجانب شعارها (المقدس). فرفضت.

تبنت الفكرة تلك الأستاذة الفاضلة، وقالت أنا سأتولى طباعته بدعم مني، وعندما سألت من هي، قيل إنها سيدة أعمال.. أعطتني كرتها، ومضى كل إلى حال سبيله.

كان الكتاب الآنف الذكر لم تكتمل طباعته وإخراجه..

عموماً اقتنعت بالفكرة التي هجمت على ذهني بأن أجعل هذه السيدة تدعم فكرة مهرجان المدرهة بدلاً عن الكتاب، فلو أرشدتني إلى قناة لتحقيق هذا الحلم، ستكون فتحت لي نافذة مشرعة للأمل، لن أنساها ما حييت، فالمسألة لم تعد مسألة إنجاز مشروع، بقدر ما صار بمثابة تحد يدفعني للمغامرة مهما كانت الصعوبات.

سألت إحدى الصديقات التي كانت معنا في ذلك اللقاء، وأيدت فكرتي.

في صبيحة اليوم التالي، من يا فتاح يا عليم، وبعد اتصال لتحديد موعد اللقاء، ذهبت إلى مؤسستها (مؤسسة ألماز).

كان في ذهنها الكتاب الذي تحدثنا عنه عشية ذلك اللقاء الرمضاني، ولكني حدثتها عن فكرة مهرجان المدرهة، ولم تقصر في دعمي، وتواصلت مع أصحاب مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي، واجتمعنا في وقت قياسي.. بل لقد قالت لي: ابدئي بمراحل التنفيذ، وسندعمك.

صدقتها من فوري، وكانت هذه المرة الأولى التي كان محقاً فيها صدقي. لكن كيف أبدأ، ولا يوجد معي (بقشتين) حق مواصلات.. تدبرت.. وبدأنا نشتغل بحماس، ذهبت إلى الأخ يحيى الطويل، الفنان الذي صنع المداره، وأعطيته عشرين ألفاً من الحساب لكي يشتري بعض المواد الخام الخاصة بالمداره.

ودفعت عرابين صغيرة من أبو خمسة آلاف، وألفين، لهذا وذاك، أما حق المواصلات، فلم يأخذ الإخوان -فريق العمل- فلساً واحداً، حتى يأتينا الدعم.

وبدأنا نشتغل بحماس، وأتينا بسكرتيرة (أنيسة الحبيشي) لتنظم إلى فريق العمل، وبدأ الشغل ليل نهار، حتى أيام الإجازات لم نستمتع بها، وماهي إلا أيام قليلة حتى اجتمعنا مع القائمين على مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي، ووافقوا على دعم الفكرة، وعرفت ما هي المؤسسة، ومن يديرها، ونشاطها .. مجموعة من التجار، والمنظمات الدولية.

وللأمانة كان المبلغ متواضعاً بالقياس إلى حجم فكرة مشروع المهرجان الذي سيستمر لثلاثة أيام، بالإضافة إلى الاستعدادات، وشراء المداره التقليدية من أشجار الأثل، وهي لا توجد إلا في سوق محدد، وكذلك بالنسبة للخيام، والأشياء الأخرى... الخ.

فعت الأستاذة هدى الشرفي المبلغ، فهي تعرف نقص خبرتي، وأني أخوض أول تجربة، وأحسست أنها غامرت معي، فقالت لي ليس المهم الدعم، كما ترين الوقت قليل، والفعالية كبيرة، ما رأيك لو نؤجلها إلى السنة القادمة، قلت لها نحن نشتغل في الميدان منذ شهر نوفمبر. قبل رئيس المؤسسة الأستاذ عبد الوهاب ثابت ووافق أعضاء المؤسسة الأستاذ محمد عبده سعيد، والأستاذة هدى الشرفي.

وبدأت تتضاعف الأشياء من ثلاث مداره إلى أربع، ومن ٢٠٠ دعوة، و٢٠٠ بروشور إلى أضعاف مضاعفة... الخ. فتلك الميزانية الصغيرة كانت على أساس بيت الموروث الشعبي المتواضع.

وأتى الدعم بكل سلاسة، وسهولة، ولا جري ولهاث، وقلة قيمة، وامتهان..

وبدأ العمل فعلياً ولم يبق إلا ٢١ يوماً كان علينا أن نعمل خلالها ليل نهار. وكان ذلك.

كان العمل مجهداً وملخبطاً، فاضطررنا إلى الدخول بسباق مع الزمن وقمنا بعمل بعض الأشياء مرتين، وخسرنا مرتين.. ومضى العمل بوتيرة عالية.

وبدأت الناس تتوافد إلى بيت الموروث الشعبي الذي تحول إلى غرفة عمليات.. لتسأل عن ماهية هذه المدرهة، ونشاط البيت... الخ.

وكان العمل في البيت والنزول الميداني إلى صنعاء القديمة التي تحولت هي الأخرى إلى ورشة للعمل.

وبعد إعدادنا المسبق أن المداره ستنصب في مسرح الهواء الطلق.. كون المكان واسع، ومبهجاً وبيوت صنعاء تطل عليه.

عندما بدأت تنصب المداره فتحت العيون علينا، بدأ الناس يعرفون أني منذ أكثر من شهر وأنا أعمل مسحاً لتسجيل أسماء المتدرهين والمتدرهات الذين حافظوا على

التراث، وضرورة تكريمهم، ورد اعتبارهم أيضاً أننا سواسية بل هم أفضل منا كونهم حافظوا على تراثهم بالرغم من أنهم لم يعودوا يمارسونه من عقود خلت.

وكنت أسمع تغاريد المدرهة من أفواه الناس.. وبدأ النشاط والحماس، أولئك الشيوخ من رجال ونساء كل يدلي بدلوه في كيفية تنصيب المدرهة، وكيف ستكون كسوتها، وهل ستكون حبالها من سلب أو من سلاسل، أو جلود، وعن أجراسها، وهل ستظل المداره حتى عودة الحجاج... الخ. أحسسنا بأنهم يشاركوننا العمل، وأن ما نعمله جزء منهم، وأننا أنعشنا ذاكرة كانت مخفية مليئة بالغبار و«الذحل». شعرنا بذلك التجدد وبريق الذاكرة الذي يتلمس تجدده من جديد في ملامح وجوههم.

وكنا عندما نمر بالعصرية نجد الزوار يتأملون ما نعمل، شمس الأصيل تشرق تلتمع أعين الناس، بعيون القمريات، ونقوش مبانيها، أصوات الأطفال تصدح، وكذلك النسوة، اقتراحات بأن مدرهة النساء يجب أن تكون داخل خيمة، أجبنا، واعترضنا على ذلك بالقول بأنه لا يجوز أن تختفي مدرهة جميلة داخل خيمة.

كان الناس يتقبلون منطقنا إلا أن أغلبية النساء رفضن التدره في حضرة الرجال، وبعدها قلنا الميدان سيحكم بعد ذلك، وسنعوض بعد أيام المهرجان الفعلية بيوم أو يومين يكون خاصاً بالنساء فقط، بل واتفق فريق العمل أن نجعل المداره منصوبة إلى بعد عيد الأضحى، وبعد ذلك سنهديها لأطفال صنعاء القديمة.

انحناءة في غير مسارها

بدأت أشياء تنحني في غير مسارها، فكل ما نعمله مع المنفذين لبرنامج فعاليات المهرجان كنا نجد في البداية صدى حسناً، بل وتحمساً منقطع النظير، نأتي في اليوم التالي وقد نسف كل شيء.

ذات مساء وفيما كنت أحصي المتدرهين، لاحظت بعض الشباب يحصون أسماء المتدرهين مثلي، فسألتهم لماذا، قالوا طُلب منهم.. حتى الاتفاقات التي نبرمها مع بعض المنفذين للفعاليات تبرم في الصباح وتلغى في المساء!

وفي خضم منطق البناء والهدم، كنت كل يوم أتردد على الأخ يحيى الطويل خشية أن يكون هو الآخر قد غير رأيه، لكنه كان رجلاً شهماً قولاً وفعلاً.

كان لكل من الأخت العزيزة فاطمة الحضرمي وزوجها العقيد أحمد القليسي بل وعائلتها الفضل في إنجاح المهرجان، وكذلك بالنسبة للأخت نورية جسار، والمتعاونات من الجمعيات اللواتي عرضن أعمالهن.

لقد حملت تلك العائلة هم المهرجان ولم تدعمه فقط بالكلام، ولكنها دعمت دعماً فعلياً .. ناهيك عن شجاعتها، ودفاعها عن فكرتنا، أما زوجها فكان يقوم بنفس العمل في التجمعات، ولن أنسى ليلة المهرجان، عندما أتى أفراد العائلة في منتصف الليل ليطمئنوا على سير العمل، ويؤمنوا بعض نواقصنا.

شجون من وحي المهرجان

لم يبق إلا أشياء لا تنساها الذاكرة، أولئك النساء اللواتي أطلقن حناجرهن بالشدو والغناء، حالات من الفرح اللذيذ، كان بحق فرحاً، واحتفاء بالإنسان الذي صنع المدينة، وكساها بالحسن والجمال.. صنوف من البشر كانت تأتي من كل صنعاء.. حزيز والسنينة، ومذبح لتتدره، وقبلها تغني مساحة بوح ووجد، وحرية لم تهتك المحرمات والمقدسات والتشدق بأن صنعاء مدينة محافظة، يجب أن تحتجب النساء عن الشمس والضوء والحياة.. صارت أسطوانة ممسوخة.. كان الكل يتدره، ويغني في حضرة الإخوة اليمنيين والعرب والسياح، بلا محظورات، الأطفال يتدافعون، الشباب النساء، أذكر واحدة من الأخوات أتت حاملاً في أشهرها الأخيرة، وتعاني من الضغط، تريد أن تشاهد أجواء المدرهة، ومن شدة الزحام سقطت مغشياً عليها، وأسعفت..

الكل فرح، وجذل

أتذكر أنه عندما لم تأت النشادة قامت بعض النسوة بالإنشاد، إحداهن قالت، سأحضر كتاب المولد ونبدأ بالإنشاد، ونبدأ، وفعلاً بدأن ينشدن، بينما نتولى أمر إحضار إحدى المنشدات، حالة من البهجة ازدانت بها صنعاء لتزيدها جمالاً وحسناً، أصوات الرجال والنساء تشدو بماض جميل ذهب في زحمة اللهاث، وزحمة الصخب الثقافي الذي لا يلتفت إلى مكنونات الفنون المغيبة التي لاتريد غير أناس يحبونها أولاً، وينفضون عنها الغبار.

الفنانة تقية الطويلية

لا أنسى الفنانة تقية الطويلة التي تحمست، وأتت بثيابها الغالية والثمينة لتكسي بها المداره، بل وذهبت إلى الصناع لترهن خاتمها، وتأتينا بالأجراس، وتمدنا بالنصائح، ولا

أنسى جمائلها، والجمهور يطالبها بتغريد أشعار المدرهة التي سجلتها منذ سنين، والتي تستحق أن تكون الينبوع الذي ننهل منه تراثنا المغيب، فقامت أثناء الاحتفال بالإنشاد هي ومجموعة من رفاقها الرجال، بالرغم من أنها قالت إنها قد تخلت عن الغناء منذ سنين، فلبت طلب الناس، ومنهم وزير الإعلام، بل لقد كان الجميع يأتون، يستفسرون هل ستنشد الفنانة تقية الطويلية، نريدها أن تعيدنا إلى جو من الألفة والحميمية التي كانت موجودة بوجود هذه الطقوس الجميلة.

أوجه لها محبتنا وتقديرنا الكبيرين

ما شاهدناه من نجاح بفعل تكاتف كثير من الاخوة والأخوات المحبين لصنعاء، مسح كل التعب، والهم، وزادنا تفاؤلاً بأن الناس الطيبين كثر، ويظهرون في الوقت المناسب، سيجعلنا نستعد لحلة جديدة لأجل عيونك يا صنعاء، فالكثير من محبي صنعاء يريدون مهرجان المدرهة سنوياً، ليكون بمثابة احتفالية سنوية بالمدينة، احتفالية فرح.

يبقى الشكر لكل يد بيضاء ساعدتنا في إنجاح المهرجان، وانتشاره.

أروى عبده عثمان

الجزء الأول:

فعاليات اليوم الأول

من المهرجان



كلمة الاستاذ/ حسين العواضي

وزيــر الاعــلام

● الأخوات والإخوة..

الصديقات والأصدقاء..

أسعد الله صباحكم وكل عام وأنتم والوطن وصنعاء الحبيبة بخير..

يسعدني، وقد كلفني دولة الأستاذ عبدالقادر باجمال -رئيس مجلس الوزراء-، أن أحضر هذا المهرجان المتألق، الذي يؤرخ روحانياً وثقافياً وشفهياً لواحدة من أهم مراحل تراثنا الشعبي الأنيق والجميل والعريق في مدينة صنعاء الجميلة.

والشكر والعرفان موسوم لمن يقفون وراء هذا المهرجان، ليعيدوا إلى ذاكرتنا اليمنية هذه المواقف النبيلة والجميلة، ويؤكدون -بما لا يدع مجالاً للشك- أن صنعاء ستظل مدينة متألقة، وأن عاماً واحداً ومائة عام وقروناً لا تكفي لهذه المدينة الكنز للاحتفاء بتراثها الثقافي العريق.

ولابد من التأكيد على أن الدولة ممثلة بفخامة رئيس الجمهورية تولي هذه الجوانب أهمية بالغة، ولابد أيضاً من الإشادة بالمبادرات الشعبية وبدعم رجال الأعمال والمبادرات الشعبية والأصدقاء من السفارات والجمعيات والمنظمات الدولية.

وشكر خاص للاستاذة أروى عبده عثمان، التي أكدت أن المهام النبيلة لا تتحملها وزارات ولا تتحملها دول، ولكن أيضاً يتحملها أفراد غيورون على بلادهم وغيورون على مدنهم وغيورون على تراثهم العريق.

وشكراً لمن ساهم في هذا المهرجان، وأرجو أن نسمع مقطعاً من صوت أجمل من أنشد المدرهة وهي الأستاذة الفنانة تقية الطويلة، التي أشجتنا كثيراً. ولعلكم تدركون أن هذا المهرجان ولئن تكلم الأخوة

والأخوات عن المدرهة يحمل معاني ودلالات عظيمة، فهو يجسد روحانياً لواحدة من المناسبات الدينية العظيمة، عندما يرحل الحجيج من مدن اليمن، كما يؤكد أيضاً على الترابط الأسري الحميم بين أبناء هذه المدينة.

إن التنقيب في التراث، الذي تقوم به الأستاذة أروى، هو مهمة وطنية رفيعة، وهو أيضاً قضية انسانية نبيلة قبل كل شيء، وليس فقط مهمة لليونسكو وليس فقط مهمة للحكومة، ولكنه مهمتنا جميعاً.

أشكر لكل من ساهم في هذا المهرجان وكل من بادر.. وأتمنى لكم التوفيق.

وكل عام وأنتم بخير.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



كلمة أروى عبده عثمان

مسؤولة مهرجان المدرهة الأول

● في البدء كان حلماً.. ثم قطعة أرض صغيرة لموظفة عادية، وكاتبة قصصية حملت عائدات مجموعتها القصصية الأولى «يحدث في تنكا بلاد النامس» الفائزة بالمركز الأول عن جائزة الشارقة للإبداع العربي في الشارقة عام ٢٠٠١م، ثم بعض أحلام صغيرة صيرتني أو صيرتها، أو صيرناها معاً منذ أن كنت طفلة وعيناي تشدوان نحو كل قطعة شعبية؛ لرقصة، لأهزوجة، لحزوية، لمولد ديني - لبائعات الحقين والملوج والريحان واللحوح والسمن البلدي لنساء صبر والحوبان في مدينتي الحالمة تعز.

ولفيصل العامري جزء من الحكاية، بائع الفضة في باب الكبير.. خمسون قرشاً مصروفي الأسبوعي، يجب أن أشتري بنصفه قصة، والآخر قطعة فضة، وما يتبقى من نقود يسجله العامري في دفتره الصغير العتيق -وأظنه حتى الآن محتفظاً بديني الصغير-.

وجدتي بهية سيف سالم حكاية أخرى، ذلك المنجم الكبير للحكايا، ولذاكرة الناس، ترددها دوماً، ولصغر سننا نتأى بعيداً عنها، وحكاياها المملة، ماتت بهية، ومات معها كل ذلك المخزون، وللأمانة مات جزء جميل حميمي من وجداننا الشعبي.. هنا بدأت أُصَيِّرُ أحلامي إلى واقع ملموس، حتى لو كانت خطواتي متعثرة، ومليئة بالأخطاء، لكن يجب أن أبدأ..

تحقق الحلم وكان بيت الموروث الشعبي، الكيان الصغير الذي يحمل هماً ثقافياً، وبحثياً في آن؛ توثيقاً لأشكال تراثنا الشعبي، خصوصاً التراث الشفاهي الذي سريعاً ما يندثر بموت كبار السن، بيت ثقافي متحرر من كل الايديولوجيات الدينية والسياسية، يتناول الثقافة بأفق مفتوح للحوار مع أنفسنا أولاً، وللحوار مع الآخر، لثقافة انسانية واستفادة من كل التجارب الانسانية.

وكان فاتحة العمل للبيت المتواضع مهرجان المدرهة الأول بالتعاون مع

مؤسسة حماية الآثار والتراث، هذا الطقس والتقليد الجميل الذي استحكم بي كهاجس وظل يؤرقني منذ عام ١٩٩٧م عندما سجلت نزولاً ميدانياً لتوثيق أشعار وتقاليد المدرهة في صنعاء القديمة، حتى أن صار مهرجاناً ثقافياً ولا يهدف فقط إحياء تقاليد المدرهة، وحمايتها، مثل إحياء أعمدة خشب المدرهة، بل إحياء نفوس جفت فيها منابع الحياة الطبيعية وفرحها الجميل، إنعاش لذاكرتنا الشعبية، تمثل للحظة فرح وشجن لآبائنا وأمهاتنا الذين سكبوا خباياهم، وحكاياهم، وعذاباتهم، وأحلامهم الجمعية على أعمدة المداره.

المدرهة كتقليد ثقافي ديني، على شفى حفرة من الإندثار إن لم يكن قد اندثر في غالبية مناطق اليمن مثلها مثل كثير من أشكال تراثنا الشعبي الذي يندثر تحت وطأة المتغيرات الطبيعية من جهة، والإهمال والعبث والتشويه من جهة اخرى.

وأتمنى أن يكون هذا المهرجان تقليداً سنوياً في محافظات بلادنا لإحياء المداره، ولإحياء ذاكرة المدينة، والحوار معها، والتفتيش عن تفاصيل المدرهة عبر كل جذع، وحبل سلب، وأحجار، وتراب، وجرس، وكسوة حاج وحاجة، ودموع سكبت في كل أحواش صنعاء، وأمل منغم ابتعثه مُدرِه ومُدرِهَة بعودة الحجاج سالمين غانمين.

في الأخير أتقدم بالشكر العميق لكل من ساهم في إنجاح المهرجان، وقبله لمن مد لي يد العون لدعمه، أخص بالشكر كلاً من الاستاذة هدى الشرفي، والاستاذ محمد عبده سعيد، الاستاذ يحيى محمد عبدالله صالح، والاستاذ عبدالوهاب ثابت، والدكتور محمد النود. ولفريق العمل كل من الاستاذ عبدالقادر الشيباني، وسعيد عبدالفتاح، وأنيسة الحبيشي، وأعضاء الفريق الإعلامي والاداري.

ولا أنسى أن أتوجه بالشكر الجزيل للاستاذة بولدي -حرم السفير الايطالي بصنعاء-.

وللأعزاء والأحبة من أبناء مدينتنا الحبيبة صنعاء القديمة جزيل الشكر والتقدير، وبخاصة الاخوة عائلة الاستاذ احمد علي القليسي، والأخ يحيى محمد الطويل والأخت نورية جسار ولكل الأعزاء والأحبة الذين تعاونوا وتفانوا من أجل إنجاز هذا المهرجان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



كلمة الاستاذة/ هدى الشرفي

عن مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي

• حين كان سفر الحجاج طويلاً
حين كان سفرهم مضنياً
حين كانت أخطار السفر كثيرة

فكانت المدرهة
من حيث الحزن أتت
وفي ذاكرة المجتمع علقت
وفي وجدانه استقرت
فأصبحت وسيلة علنية للتعبير عن الأمل بعودة الحاجة أو الحاج
وسيلة للدعاء والصلاة بأن يدفع عنه كل سوء
وسيلة للشوق والحنين إليه
وسيلة لوصفه وتعداد محاسنه
بصوت عالٍ حزين

إن حركة المدرهة.. ذهاباً.. وإياباً
ارتفاعاً وانخفاضاً
هي محاكاة لقلب وعقل من على المدرهة
من قلقه على الحاجة أو الحاج
من لوعته وشوقه إليه
يتضاعف القلق والشوق
مع حركة المدرهة
مع كلمات الشوق
أو كلمات الوصف والثناء

ولأن احتمال سقوط المتدره من على المدرهة يكون محتملاً
فإن من يعتلي المدرهة يشاطر الحاجة في المخاطر

فالمدرهة
فكرة يمنية خالصة
مرتبطة بحدث
ليست لعبة.. للتسلية
غابت عن ذاكرتنا لفترة وجيزة لزوال المخاطر عن الحجاج
وسهولة ويسر وراحة وسائل أسفارهم
وها هي تعود الى ذاكرتنا من جديد
في مهرجان احتفالي جميل

نأمل من الحضور الاستمتاع بهذا المهرجان ونقوم بالشكر الجزيل،،،
للأخت اروى عبده عثمان
الاخ عبدالقادر الشيباني
الاخ سعيد عبدالفتاح
الاخت انيسة الحبيشي
وكافة المنظمين والمساعدين في بيت الموروث وكذلك الأعزاء أهالي صنعاء القديمة على جهودهم الجبارة لإقامة وإنجاح مثل هذا المهرجان.



لذاكــرة الآتــي

المدرهة.. إرث يمني أصيل تحييه الذاكرة

■ العواضي: المهرجان يحمل معاني ودلالات عظيمة والتنقيب في التراث مهمة وطنية رفيعة

■ هدى الشرفي: المدرهة وسيلة علنية للتعبير عن الأمل بعودة الحجاج

■ أروى عبده عثمان: المدرهة تقليد ثقافي ديني على شفا حفرة من الاندثار

● تحت شعار«لذاكرة الآتي» انطلقت يوم أمس الساعة العاشرة صباحاً.. على مسرح الهواء الطلق.. فعاليات مهرجان المدرهة الأول والذي ينظمه بيت الموروث الشعبي بدعم من مؤسسة حماية التراث الثقافي.

■ متابعة: المقالح عبدالكريم

وكان قد افتتح الفعاليات الاستاذ حسين العواضي وزير الاعلام.. الذي القى كلمة في حفل الافتتاح عبر فيها عن سعادته بتكليف دولة الاستاذ عبدالقادر با جمال رئيس مجلس الوزراء بحضور المهرجان الذي عده مؤرخاً روحانياً وثقافياً وشعبياً لواحدة من اهم مراحل تراثنا الشعبي الأنيق والعريق في مدينة صنعاء القديمة.



واضاف قائلاً: «وتدركون أن هذا المهرجان يحمل معان ودلالات عظيمة.. فهو يجسد روحانية واحدة من المناسبات الدينية عندما يرحل الحجيج من المدن اليمنية» مؤكداً على ان الدولة ممثلة بفخامة الأخ رئيس الجمهورية تولي الجانب التراثي اهمية بالغة. شاكراً في الوقت نفسه كل من يقف وراء هذا المهرجان من افراد ومؤسسات ومنظمات دولية مشيراً إلى أن التنقيب في التراث الذي تقوم به الاستاذة اروى عبده عثمان هو مهمة وطنية رفيعة كما انه قضية إنسانية نبيلة قبل كل شيء وليست مهمة لليونسكو أو الحكومة بل هي مهمتنا جميعاً.

العودة إلى الذاكرة

كما ألقت الاستاذة هدى الشرفي كلمة المؤسسة الداعمة للمهرجان.. اشارت في البداية إلى أهمية تقليد المدرهة كطقس يرافق رحلة الحجيج المضنية..

وقد نوهت في كلمتها إلى المدرهة حيث اصبحت وسيلة علنية للتعبير عن الأمل بعودة الحاجة والحاج.. ووسيلة للدعاء والصلاة لأن يدفع الله عنه كل سوء.. مشيرة إلى حركة المدرهة بقولها: «إن حركة المدرهة ذهاباً وإياباً.. ارتفاعاً وانخفاضاً هي محاكاة لقلب وعقل من على المدرهة.. من قلقه على الحاجة أو الحاج.. من لوعته وشوقه إليه.. إذ يتضاعف القلق والشوق مع حركة المدرهة وكلمات الوصف أو الثناء.

وقد اكدت على حقيقة مهمة في ثنايا كلمتها والمتمثلة بالمدرهة كفكرة يمنية خالصة ارتبطت بحدث الحج، أي ليست لعبة للتسلية، مشيرة إلى أن غياب المدرهة عن ذاكرتنا لفترة وجيزة أمر راجع إلى «زوال المخاطر عن الحجاج وسهولة ويسر وراحة وسائل اسفارهم.. وهاهي تعود إلى ذاكرتنا من جديد في مهرجان احتفالي جمالي».

تقليد سنوي

وكانت الباحثة الاستاذة أروى عبده عثمان رئيسة بيت الموروث الشعبي ومسؤولة المهرجان



قد القت كلمة جاء فيها: «المدرهة كتقليد ثقافي ديني على شفا حفرة من الاندثار إن لم يكن قد اندثر في غالبية مناطق اليمن مثلها مثل كثير من اشكال تراثنا الشعبي الذي يندثر تحت وطأة المتغيرات الطبيعية من جهة.. والإهمال والعبث من جهة أخرى».

متمنية في الوقت نفسه ان يكون هذا المهرجان تقليداً سنوياً في محافظات بلادنا لإحياء المداره ولإحياء ذاكرة المدينة والحوار معها.. والتفتيش عن تفاصيل المدرهة «عبر كل جذع وحبل سلب وأحجار وتراب وجرس.. وكسوة حاج وحاجة.. ودموع سكبت في احواش صنعاء وأمل منغم ابتعثه مدره ومدرهة بعودة الحجاج سالمين غانمين».

توثيق الإبداع

بعدها قدمت الفنانة تقية الطويلية نموذجاً من تغاريد المدرهة نال استحسان الحضور.

هذا وقد تواصلت فعاليات اليوم الأول لمهرجان المدرهة والمتمثلة بـ:

١- معرض صورة الحياة التقليدية في مدينة صنعاء.

٢- الأزياء الشعبية.

٣- المطبخ الصنعاني.

الجدير بالذكر هنا أن مهرجان المدرهة هو الأول من نوعه. ويأتي في ظل الحفاظ على تقاليد الحجيج في اليمن من خلال إحياء تقليد المدرهة وتغاريدها المصاحبة للحجاج.

وقد هدف بيت الموروث الشعبي إلى تحقيق عدد من الغايات بهذا المهرجان ولعل أهمها:

١- كشف عن وجه من اوجه الإبداع الإنساني من خلال الإنشاد أثناء التدره.

٢- توثيق تقاليد الحجيج سمعياً وبصرياً لتكون مرجعاً للدارسين.

وتتواصل اليوم فعاليات المهرجان حيث ستقام ثلاث محاضرات الأولى في تمام العاشرة تلقيها الدكتورة رؤوفة حسن بعنوان (انطباعات حول تقاليد المدرهة).. إلى جانب الاستاذ

احمد الذهباني.

أما المحاضرة الثانية فهي بعنوان المدرهة بين الشجى والشجن يلقيها الاستاذ علي صالح الجمرة.

فيما تدور المحاضرة الثالثة عن المدرهة في الذاكرة الشعبية.

وتستمر مظاهر المهرجان حتى السادسة مساء من يوم الغد.

من تغاريد المدرهة

«يـا لمـن ذي المـدرهـة	وصـوتهـا شـجـاني
وصـوتهـا شجى الجبـال	ورعـد الـوديـان
يا مـدرهة سـيـري سـوا	لا تـرخي الحـبـال
لا ترخي الحـبـال السلب	فـوقك ثقـيلة غـالي
يا حـمـامـة عـرفـة	حَـومِي وحـومي
واعـرفي لنا حـجـنا	هو طـويـل خـضـراني
واعـرفي لـنـا وزرتـه	هي كلهـا بيـضـاني
واعـرفي لنا عـصـيـتـه	هي شـوحـط أو رمـاني
يا مـبـشـر بالحـجـيج	بـشـارتـك بـشـاره
بشـارتك صـفـا اليـمـن	وتـلحـقـه شـراره

■ «الثورة» ١٣ يناير ٢٠٠٥م

الجزء الثاني:

أوراق المدرهة

مرحلة الطفولة والذكريات «المداره الثلاث الأولى»

■ د. رؤوفة حسن

● ولدت في مدينة صنعاء، في بيت الاسرة المطل على السائلة وعلى مدخل شارع القزالي، البيت الكبير هذا يمكن الدخول إليه اليوم من قبل العامة، حيث صار فندقاً يسمى «العربية السعيدة» لا تزال فيه إمكانية لرؤية الحوش الكبير الداخلي و«الحوية» الصغيرة الأمامية حيث تقع بئر المياه.

حالياً لم يعد من الحوش الكبير سوى الذكريات في رأسي ورؤوس إخواني، حيث أضافت ادارة الفندق داخله مطعماً وقاعة جلوس وممراً ومطبخاً وبوفية وحمامات للرجال والنساء ودكان مبيعات سياحية، وتم اقتلاع اشجار الحوائج (الفلفل الأحمر) الثالث وشجرة التوت الضخمة لتحل محلها اشجار صغيرة لما تبقى من مساحة مفتوحة يتم استخدامها لضيوف الفندق لتناول القهوة أو الشاي أو الطعام احياناً، حيث تتسع لأقل من عشر طاولات مربعة.

وهكذا تكون المدرهة الأولى في حياتي، التي تم ربطها بين فرعين من شجرة الحوائج الباسقة، قد صارت خبراً بعد عين، فلا صورة واحدة أملكها، ولا رسمة تخلدها، ولا ذاكرة بالمجد تضخمها غير ندوب بسيطة محفورة في ذاكرة عن حركة جسمي العابرة للمساحة العريضة من ساحة الحوش «الحوي»، وانبثاقة منظر السماء الصافية ثم ظلال غصون الشجرة التي تغطي جزءاً كبيراً مما كنت اراه.

ولأن والدي كان يعمل في مدينة إب فقد كانت فترات البقاء في هذا البيت ترتبط بإجازات مجيء والدتي إلى صنعاء، كي تضع مولودا جديداً كل عام لدى أهلها في منزلهم بشارع العلمي والمطل على بستان الهبل وجامع العلمي الشهير، تباعدت الذاكرة بيني وبين البيت الكبير في السائلة ليصبح بيت العلمي محور ذكريات المدرهة الثانية.

في الدور الخامس من منزل أهل والدتي يقع المطبخ -كعادة بيوت صنعاء القديمة- وبجواره ديوان الوسط (أي الطعام) والكمة (غرفة صغيرة جداً لديها نوافذ واسعة وإطلالة كاملة على ما يحيط بها)، وحجرة صغيرة تطل عليها هذه الأمكنة مع الجزء الأعلى من درجة السلم الواسعة، حيث يقع ما يشبه الباب ذا العقد الواسع الذي تم عليه تعليق مدرهة

صغيرة داخلية مخصصة لي في الفترة التي كنت أبقى فيها في منزل جدي، بينما يكون باقي أفراد الأسرة في مدينة إب.

كانت هذه المدرهة وسيلة إلهام وتسلية، فقد كنت الطفلة الوحيدة في بيت جدي، ولم يكن هناك شيء ما يمكن إشغالي به، ليست هناك ألعاب حديثة ولا تلفزيون، كان في البيت مجموعة من القطط أقوم بإطعامها في أوقات محددة، أو مطاردتها في أوقات أخرى، وبعد ذلك لا تبقى سوى المدرهة أتارجح عليها، وتهزني بشد الحبال (السلب) أيٌ من خالاتي أو جدتي أو أي واحدة من نساء البيت الخارجة من المطبخ في طريقها إلى كمة خزين مواد الطبخ والطحين، أو في طريقها إلى إعطائى الماء الناتج عن غسل أوعية الطعام كي أذهب به إلى سطح المنزل (الجباء) لأسقي به أصص الريحان والنعناع وبعض شجيرات الفلفل (البسباس) وأي مزروعات أخرى هناك، وكانت زوجة خالي- رحمها الله- ذات صوت عذب وذاكرة قوية وروح شجية تواقة للحزن أكثر من الفرح، فقد فقدت طفليها الوحيدين ولم تنجب ثانية، وكان الندب إحدى طرق التعبير التي تلجأ إليها للتخفيف من أشجانها ولوعتها لفقدانهما، وهكذا كانت تتوقف بين الحين والآخر فتهز المدرهة لتحركني عليها وتبدأ بتنغيم الكلمات على الصوت المعتاد للتدريه لتعبر عن الغائب الذي ذهب ولن يعود، ولم يكن المقصود بالصوت الشجي حاجاً، بل كان طفلاً وطفلة لم يكملا العام قبل الرحيل.

ذلك الحزن وتلك المعاني المخزونة في كلمات ما يبدو وكأنه «التدريه» لم يبق منه سوى ظلال ترسبت في اعماقي لمنزل تتراقص فيه ظلال حركة المدرهة مع انبشاقة السقف الأبيض ووجه خالتي المنشد الحزين، وإدراك مبكر لأسرار حياة لم يعد منها سوى ما ترسب في شغاف قلبي تستعيده الذاكرة كلما سمعت صوت تدريه او نشيداً أو أهزوجة شعبية.

وجاء عيد عرفة الأول وأنا في بيت جدي، فإذا بأصوات المداره تصدح من بيوت الجيران، وكان بيت «الروضي» -وهو بيت معروف في شارع العلمي هو و «حويته»- هو الذي اجتذب اهتمامي، فكنت أذهب كل يوم من بعد صلاة العصر إلى حين يرتفع أذان المغرب، فيكون ذلك إيذاناً بالعودة إلى المنزل، كانت تلك المدرهة مصنوعة من أجل الكبار، وكان على من يحل عليها الدور ان تعتلي المدرهة فتكون جالسة عليها والأخرى تضع قدميها على الجانب وتقف على الأعلى فتتحرك بقوة وسرعة، تدور بالرأس من السعادة التي تبعثها في النفس والروح.

وإذا كانت أصوات اي من اللاتي على المدرهة أو في حالة تواجد امراة أو فتاة لها صوت جميل وتحفظ كلمات التدريه المتداولة او تستطيع ابتداع كلمات جديدة، فإن النفس تنتشي بالغناء والحركة وتكون أيام المدرهة أياماً سعيدة لا تنسى، كما كان حالي مع مدرهتي الثالثة.

نوعية الحياة في صنعاء

كانت الحياة في صنعاء، المدينة التي عرفت طفولتي، محصورة في ما يعرف الآن بصنعاء

القديمة وميدان التحرير وبير العزب وبيوت قليلة متناثرة في شعوب ومسيك والصافية، وكانت حواري صنعاء كلها تطل على بساتين من ناحية والشوارع المخصصة للمشاة ووسائل المواصلات القليلة المتوفرة من سيارات محدودة أو موتورات سياكل مزعجة الصوت أو «جاري» مشدود إلى حمار ينقل حمولات الناس من مكان إلى آخر، وكان عدد الناس الذين يمتلكون سيارات قليلاً، كما كانت الشوارع ترابية، لكنها نظيفة، فلم تكن أكياس البلاستيك ولا قوارير المياه المعدنية قد عرفت، وكانت حديقة الاطفال المجاورة لمبنى الاذاعة هي الحديقة الوحيدة في المدينة المخصصة رسمياً للصغار، لكن الذهاب إليها لم يكن سهلاً، ولابد من صحبة الكبار إليها، وكان الكبار يفضلون أن نبقى في أحواش المنازل، إما بمنزلنا أو بمنزل الجيران، وبعد العصر تتجمع النساء في تفاريطهن المعتادة، ومن لم تتزوج بعد والبنات الأصغر يتجهن إلى حوش البيت للحديث وخياطة الكوافي أو زخرفة اطراف السراويل أو الأحزمة أو الليف، لا أذكر في الايام العادية ان إحدى البنات لا تتعلم شيئاً تصنعه على يدها.

وعندما التحقنا بالمدارس كانت أحواش المنازل مكاناً لحل الواجب وللمذاكرة ولتبادل الاخبار عن الجيران والجارات أو سماع الراديو، وكانت أيام الأعياد فرصة للغناء وترديد القصائد والأشعار ولعب الورق، وكان ذهاب حجيج في الحارة يعني فرصة مدرهة للأرجحة أو سماع التدريه أو المشاركة فيه، وإذا لم يذهب حاج أو حاجة من حارتنا فإن الحارات المجاورة كانت مكاناً للمغامرة والذهاب، وإن لم تكن فرص التدره سهلة كما هي مع الصواحب والجارات، ففي الحارات الأخرى نكون كالغرباء.

الحج: السفر الأكبر

نادراً ما كنا نسمع عن سفر أحد، وإذا سافر احد من أسرتنا أو أحد من الجيران تأتي الجارات للتحية وللقول: «رعى الله الغائب»، فإذا عاد من السفر يكون القول:«يهنيك عودة الغائب»، فترد صاحبة البيت: «يهنينا ويهنيكم». لم يعد السفر اليوم ملفتاً لنظر أحد، ولا مدعاة لتحية وداع ولا فرح عودة، ووحده فقط السفر للحج لايزال السفر الأكبر، تتم له طقوس من كل من له علاقة، سافر أبي وعماتي المرة الأولى، وكنت أدرس في القاهرة، فلم أر طقوس الوداع ولم أحضرها، ثم سافر أخي ووالدتي وخالتي فصورت ما حدث، تم استئجار شخص للتوديع بالنشيد والآيات، لكنه اصيب بوعكة في آخر لحظة، فجاء ابنه البالغ (١٢) عاماً وقام بالواجب، وكان الامر مضحكاً حد البكاء، فقد كان صوته مخنوقاً، وكان حفظه للآيات مخلوطاً، وكانت اناشيده غير متقنة، وقد قمت بتصوير ما حدث بكاميرا فيديو، ولم ينقذنا من الإحراج سوى قيام سائق السيارة باستخراج شريط كان بحوزته لتدريه مسجل بصوت جميل شجي حتى وصلنا المطار، وفي ساحة المطار وجدنا حجاجاً آخرين لبسوا ملابس الإحرام ومعهم مسجلة تردد بنفس الصوت المسجل لدينا تدريهاً وتوديعاً للحجاج.

في التوديع للحجاج لاتزال المداره تردد التخيل لمصاعب الطريق التي كانوا يعانون منها،

ويتتبعون خطى الحجاج من موقع إلى آخر، والذي يقوم بالتدريه يسأل السؤال بعد الآخر: «يا حجنا ياحجنا، واين قدك واين عادك؟ تميت وادي قعطبة من بين سبعين وادي» أو «تميت وادي منى قد شطط حذاتي»، ومثل ذلك كثير في المخيلة الشعبية الشعرية التي تتخيل حواراً بين صديق أو قريب الحجاج وبين الحاج الذي يرد بنجواه عن مصاعب طقوس الحج ومشاكل الطريق.

اليوم لم تعد المدرهة سوى محافظة على تقليد قديم لتذكر انماط ثقافة إبداعية كانت قائمة وكانت ترجمة لحالة حب ولوعة حقيقية على مسافر يذهب ويودع وليس له ضمان في أن يتمكن من ان يعود، اليوم يذهب الحاج وأهله يعرفون نمط حجه، فليست هناك صعوبات سوى صعوبات الفقر، فهناك حج الخمس نجوم للذين يذهبون بالدرجة الأولى ويصلون لينتقلوا على سيارات خاصة إلى فنادق الخمس درجات المطلة على ساحة الحرم، يتناولون الطعام الفاخر ويقومون بواجبات الحج كما يفعلون دائماً في اسهل انواع حياتهم اليومية، هؤلاء قد يكون بين اسرهم شعراء ونساء لهن مخيلات إبداعية وأصوات شجية، لكن السفر لهؤلاء الأقارب لا يفجر لوعة ولا يثير شجناً.

وهناك سفر الترتيب السياحي الجماعي والتنقل داخل الباصات أو الوسائل المحددة، صار السفر وتأشيرته مربوطين بحجوزات ومبالغ مؤكدة وموجودة، وصار الحج سفراً صغيراً، وحديثاً يحرص الكثير على تكراره عاماً بعد عام، لأن شعوراً ما بأن الأمر لم يكتمل يظل قائماً مهما تعددت مرات تكرار الحج الحديث.

مهما حاولنا أن نبعث من ذاكرتنا ما ترسب فيها من أزمنتنا نحن، فإن المدرهة بالنسبة لهذا الزمن ليست أكثر من أرجوحة تشبه المراجيح الموجودة في حديقة السبعين أو حديقة الثورة أو مدينة الألعاب، الفرق ان شكلها بدائي وأنها غير مريحة، ولا تلائم الأطفال المدللين بالأراجيح الملونة البلاستيكية الناعمة الآمنة، ذاك زمان وهذا زمان.

تلك المداره كان يصنعها النجار في حارتنا وصانع السلب في سوق السلب، والسلاسل المربوطة بها في سوق الحديد يصنعها الحداد الذي نعرفه، هذه الارجوحة البلاستيكية الحديثة تأتي من بلاد بعيدة، جميلة مزخرفة إذا اقتطعت نرميها فليس لنا أحد نعرفه يجيد صنع مثلها ولا تستحق التكلفة البسيطة في شرائها تكاليف الإصلاح.

جارنا الحداد لم يعد ينفخ الكير، وأولاده الذين تخرجوا ويبحثون عن عمل لن يعملوا في الحدادة ولا في النجارة ولا في صنع السلب والحبال، لن يصنع احد شيئاً هنا، فهم يصنعونها في الصين أو في أي مكان آخر. نحن الآن فقط نستعيد الذكريات عن أيام صعبة وجميلة وعن ذكريات حميمة ومليئة وعن زمن كنا نردد فيه أغاني تعبر عنا، والآن يقول لنا الفيديو كليب مشاعرنا الجديدة.

المدرهــة.. بـين الشجــي والشجــن

■ علي صالح الجمرة

● عرف الإمام الموسوعي/ نشوان بن سعيد الحميري في الجزء الرابع من موسوعته الشهيرة «شمس العلوم» ص (٢٠٦٩) المِدْرَة: بأنه لسان القوم والمتكلم عنهم.. ومن هنا ندرك أن اسم المدرهة مشتق من «المِدْرَة» وأن التسمية «المدرهة» تسمية عربية فصحى، إذ أن من يَطّلعْ عليها لابد وان ينشد (بصوت عال) الأناشيد الحافلة بالشوق للحبيب الغائب، وأن يشعر بالقلق النفسي وبالخوف من المجهول..

وهي قديمة فقد ذكرها البهاء الكندي في كتابه «السلوك» الجزء الأول ص (٥١٠) بقوله: وفي تلك السنة (يقصد بها سنة ٦٥٩هـ) حج المظفر (الملك السلطان المظفر الرسولي علي بن عمر)،وعمل الجزري (وكان متولياً على عدن) مدرهة كما عمل غالب اعيان عدن.. شيء يعتاد أهل اليمن عمله لمن حج أول حجة، وعند نصبها إذا كانت لرجل ذي رئاسة، قام الشعراء بأشعار يمدحون من عملها ومن عُملتْ له..

وأيضاً ذكرها الرازي في كتابه «تاريخ صنعاء» تحقيق د. حسين عبدالله العمري ص (١٦٥) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استدعى عامل اليمن يعلى بن أمية لإنصاف من شكاه،وأمره ان يأتيه من صنعاء ماشياً.. فلما سار ميلا اذ لقيه بريد بموت عمر واستخلاف عثمان وإثباته على عمله، فرجع.. فيقال أنه استقبله أهل اللهو واللعب ودخل صنعاء فرحاً مسروراً، وذكر أن نساءه احجرن في منزله ودُوره..

ولا زالت عادة نصب المدرهة شائعة في صنعاء وخاصة في موسم الحج... إذ كان فيما سبق الرحيل من اليمن الى مكة للحج أمراً شاقاً ومحفوفاً بالمخاطر.. فكم كانت تعاني قوافل الحجاج بعد خروجهم من اليمن من أهوال غارات قطاع الطرق، فضلاً عن صعوبة ومشاق السفر في الطريق المليئة بالأشواك والصخور والوحوش والزواحف، وغيرها من الآفات والمصاعب..

ولهذا كان المعتزمون على أداء هذه الفريضة يقدمون عليها بكثير من التهيب والتوجس، وهو ما جعلهم يتجمعون في نقاط معينة لكونوا في صحبة أمير الحج، وقد تولى الملك علي بن محمد الصليحي إمارة الحج اليمني ومن إليهم من حجاج عمان والهند وشرق افريقيا لمدة خمسة عشرة سنة قبل أن يتولى حكم اليمن..

وكانت تلك السنوات خير إشهار له ولقيادته الحكيمة والشجاعة وكانت كفيلة بنشر اسمه وسمعته في كافة انحاء اليمن وعمان، ومع ذلك فإنه لم يسلم من القتل من قبل سعيد الاحول والمتآمرين معه عام ٤٥٤هـ.. وهو في طريقه الى حج بيت الله الحرام ثم الى مصر.

ويمقدار ما كانت هذه الرحلات الموسمية تثير في نفوس المرتحلين من الترقبات والمخاوف، كانت أيضاً تخلف في نفوس الأهل والأقارب من الحزن والقلق والأشجان مالا مزيد عليه..

ولهذا كانت هذه المدة التي تتراوح بين ثلاثة وأربعة أشهر من كل عام، فترة مثيرة حافلة بالشوق الديني والقلق النفسي وبالتوقعات المبهمة والانتظار المشوب بالتوجس ومرارة الهواجس الحزينة، ومن ثم أنتجت ظروف هذه المدة الجياشة عبر الزمن فنوناً من الأدب الشعبي كالحكايات (الحواديت) والاهازيج والأغاني والعادات الشعبية التي تعود الى أبعاد زمنية ضاربة الجذور في القدم وفي التغلغل المكاني في الارض والمجتمع.

وكما يقول الاستاذ مطهر الإرياني في كتابه «المعجم اليمني في اللغة والتراث» في ص٢٨٨ - ٢٨٩: ومن هذه العادات المقرونة بالفن الإبداعي من شعر وألحان وأغان، كانت ظاهرة (المدرهة) واحتفالاتها وأغانيها.. فما كانت مواكب الحجاج تغيب عن انظار الأهل حتى تبدأ الاسر، وخاصة في صنعاء وما حولها، في نصب المدرهة إما داخل البيوت أو في حدائقها وما يحيط بها أو يقع بالقرب منها من ساحات وباحات..

وكانت حبال هذه الأرجوحة (المدرهة) تختار من أقوى الحبال وأمتنها وكثيراً ما تكون من سلاسل الحديد الكبيرة التي تسمى (السِّرات) جمع (سِره).. حيث كان الاعتقاد أنه إذا انقطعت (المدرهة) أثناء التدره عليها، فإن ذلك نذير شؤم بالنسبة للحجاج الذين يتأرجحَ المتأرجحون على تلك المدرهة باسمهم ومن أجل سلامتهم وعودتهم الى أهلهم بالصحة والعافية والسلامة..

ويظل الرجال والنساء -بدرجة أكثر- والأطفال أيضاً، يتناوبون التأرجح على تلك المدارة وهم يغنون الأغاني الخاصة بهم طوال النهار وردحاً من أول الليل..

وأغاني المدرهة حزينة في الغالب، وتغنى بأبيات عفوية ومحفوظات ادبية معظمها على (بحر الرِّجز) وهي تبدأ بذكر الله سبحانه وبالصلاة والسلام على رسوله الكريم، ثم بذكر الحجاج والدعاء لهم بالحج المبرور والسعي المشكور والذنب المغفور، ثم الدعاء لهم بالحفظ والحماية وسلامة العودة الى الأهل والوطن، ثم تنتقل في الغالب الى حديث الفراق وتباعد الأحبة، وحرارة الأشواق ولهفة الحنين... الخ.

ويستطرد الاستاذ مطهر الارياني فيقول: ومن أحسن ما سمعت في صنعاء قول إحداهن:

«معي شجن سار اليمـــن
معي شجن سار الشـــــام
معي شجن تحت الصلل
طـــالت عليـه الأيام».

وهذه المتدرهة تحن لفراق ثلاثة من الأحبة الغائبين؛ أما أولهم فإنه شجن من أشجانها وقد توجه في رحيله جنوباً ولعله كان موظفاً ممن يرسلون من صنعاء الى الجنوب وسائر أنحاء اليمن (معي شجن سار اليمن).. وأما شجنها الثاني فلقد ارتحل شمالاً وهذا هو الحاج من أقاربها في ذلك الموسم (معي شجن سار الشام).. وأما الثالث فإنه شجن لا أمل لها ولا له بالعودة، فرحلته كانت رحلة الأبدية لأنه ميت مدفون تحت حجارة الصلل التي أهيل عليه من فوقها التراب وقد طالت به الرحلة ومرت عليه الأيام (معي شجن تحت الصلل،،، طالت عليه الايام).. فيالها من متدرهة ذات أشجان..

وأظن أن السر النفسي والباعث العقلي والفكري لنصب المدرهة في هذه المناسبة إنما جاء من كون كل أرجوحة معلقة في الهواء لها قانون يحكمها فلها ذهاب الى الامام وعودة الى الخلف، وإذا كان ذهابها الى الامام يتم بالإرادة وبالفعل الإنساني الذي هو الدفع باليدين مثل الرحيل للحج الذي يتم بالنية والعزم انطلاقاً من قوة الدافع الديني؛ فإن أمر عودة المدرهة -والعودة هي هنا شجن المتدرهين وشاغلهم- هي أمر قدري حتمي لابد من حدوثه بقوته الذاتية، أو بقوة قانونه العلمي المرسوم، والذي يحكم على الجسم المعلق أنه إذا مال عن مركز تعامده بقوة دافعٍ مااصبح عليه العودة تلقائياً الى الوراء ثم إلى الأمام وهكذا حتى يستقر إلى وضع تعامده على مركزه، ومركز تعامد الحاج وكل مفارق لأهله، هو وطنه وبيته بين أهله ومحبيه..

وبذلك يتفاءلون بعودة الحجاج على هذا النحو المحتَّم، ومن هنا أيضاً يأتي تشاؤمهم من انقطاع حبل المدرهةاو سلسلتها الحديدية، لما ينذرهم به ذلك من مهالك قد يتعرض لها «حجًاجهم».

ومما يؤسف له ان حالة الخوف والقلق والتوجس قد رافقت سفر الحجاج اليمانيين حتى العصر الحديث، وذلك لأن ماحدث للحجاج اليمانيين في مجزرة تنومة في القرن الماضي أي في عام ١٣٤٠ للهجرة الموافق١٩٢١م ميلادية لن ينساها اليمانيون على مر الزمن، وبحسب رواية القاضي حسين أحمد العرشي في كتابه

«بلوغ المرام في شرح مسك الختام» ص (٩٣) حيث قال: «و في سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢١م) ذهب حجاج اليمن لأداء ما يوجب عليهم الدين الحنيف (يقصد ذهبوا للحج) فلما وصلوا الى تنومة اعترضهم اصحاب الملك ابن سعود فقتلوهم ساهين وهم آمنون، وليس معهم سلاح وكانوا ثلاثة آلاف فلم يسلم منهم الا خمسة نفر كانوا في طرف القافلة، فنجوا بأنفسهم هرباً.. وسلب القتلة جميع ما كان للقتلى من دواب وأمتعة وأموال..».

فانظروا الى أي حد وصل الحقد والجور بمن كانوا يسمون أنفسهم بالاخوان الذين استباحوا دماء المسلمين اليمانيين الذاهبين لأداء فريضة الحج دون أي ذنب.. وعموماً فقد مضى ذلك العصر بخيره وشره، لكننا أردنا أن نثبت مثل هذه الواقعة لندرك عمق المأساة التي كان يعيشها من يذهب الى الحج، وما كان يعانيه اهله وذووه ومحبوه من آلام ومخاوف،، وكيف اخترع اليمانيون فكرة المدرهة لتكون سلوة يتسلى بها أهل الحاج المسافر الى بيت الله الحرام ويتسلى معهم جيرانهم وأهلهم ومحبوهم... ومن خلال نصوص وألحان المدرهة ندرك عظمة هذه الآلة الجميلة التي يتسلى بها الجميع..

المَـدْرَهَـة..

وجدانيات بين الحاج وأهله.. في حله وترحاله

■ أحمد محمد الذهباني

• على الرغم من أن ظاهرة المدرهة ذات صفة عمومية شهدتها وتشهدها المدن والأرياف اليمنية على حد سواء.. وتنصب إما بواسطة اخشاب اعدت خصيصاً للمدرهة.. أو على غصون الاشجار القوية. وقد تنصب على عتبات ابواب المنازل.

إلا انها مرتبطة بعيد الاضحى المبارك وبالتحديد بسفر الحجاج إلى الأراضي المقدسة لاداء فريضة الحج.

والأمر الذي لا أشك فيه . أن المدن والارياف تختلف فيما بينها من حيث الكلمات التي تؤدى والألحان التي تُغنى عند اعتلاء المدرهة.. سواء من الرجال أو النساء.

على أن عامل التراكم الأدبي والمعرفي في المدن الكبيرة يجعلها تتميز عن القرى من حيث الكلمات والألحان التي تؤدى بها المدرهة.. مع الأخذ بعين الاعتبار حالة التأثر والتأثير بين المدن والأرياف.. وانتقال هذه الكلمات والألحان إلى القرى وبحسب بُعدها أو قربها من المدن..

ومدينة صنعاء كحاضرة لليمن تميزت بظاهرة المدرهة كلمات والحاناً..

فمن المعروف أن صنعاء القديمة كانت توجد بها ما يسمى «الحوايا» جمع حوي» أي الأحواش، جمع حوش.. والتي كانت عادة ما تكون ملحقة بالبيوت .. وليست أي بيوت . بل من يتفق العامة من الجيران على أن تكون مكاناً تتجمع فيه نساؤهم وبناتهم والصغار من الأولاد والبنات للجلوس فيها وممارسة شتى الأنشطة الترفيهية بين جدران البيوت المطلة عليها.. بعيداً عن عيون المتطفلين، وكما تُستغل هذه «الحوايا» في مختلف اشهر العام فهي تستغل لنصب «المداره» في عيد الأضحى المبارك ويؤمها الأولاد والبنات في فترتي الصباح وبعد الظهر.. والشباب والرجال في الفترة المسائية والتي قد تمتد إلى منتصف الليل.

ولا أبالغ إذا ما قلت إن المدرهة وما يقال خلالها من كلمات والحان ترسم صورة رائعة الجمال .. وفيلماً متناغم المشاهد يبرز اجمل صور اللهفة والحنين والحب الجميل وأروع صلات التراحم والألفة والمحبة بين أفراد الاسرة اليمنية.. والتي تتجلى وتبرز في أجمل صورها الابداعية والأدبية والعاطفية من خلال كلمات المدرهة التي تتواكب مع كافة مراحل

الحج (منذ النية بأداء فريضة الحج إلى الاستعداد للسفر ثم السفر وأداء المناسك والسفر إلى المدينة المنورة وزيارة قبر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.. ومن ثم العودة).

فكما تعارف عليه الخطباء والشعراء والفنانون ببدء الكلام بمناجاة الله سبحانة وتعالى وشكره والثناء عليه.. والصلاة والسلام على رسول الله نجد ان من يعتلي المدرهة لابد وأن يبدأ بما تعارف عليه العامة من الناس فيقول:

شـا ابدع بقـولي في الإله	الـواحـد المنـان
واثـنـي بقـولي في النبـي	الهـاشـمي العـدناني
واثلث بقـولي في علي	ذي حطـم الأوثـانِ
شـا ابدع بالـي صف النجـوم	واسـامـر الهـلالـي
واسامـر الحـوت في البحـار	والطيـر في الأوكـارِ
بدعت بش يالفـاتحـة	ياخـيـرة الأسـامـي
وآخـرش شن المطـر	ودحـدح الوديـان

على أن الناس قد سلكوا مسلكاً رفيعاً عند الذهاب إلى المدرهة من حيث إعطاء الأولوية في اعتلاء المدرهة لأهل الحاج وأقاربه والذين هم بطبيعة الحال أكثر شجناً له وحزناً عليه.

ويعد هذه الأبيات المذكورة آنفاً ما يلبث «المتدره» أن ينتقل إلى مرحلة أخرى من مراحل المدرهة والتي تُعتبر البداية.. وهذا يتضح من خلال الكلمات التي تُردد لافتين الأنظار إلى اعتلائهم المدرهة.. وخلال التدره تبرز حالة من الحوار الجميل بين المدرهة ومن يعتليها:

وقـد طلعت المدرهة	وفي حـفـاظ رحـمـانِ
وفي حـفـاظ واحد كـريم	هـو قـط مـا ينـسـانـي
وقـد طلعت المدرهة	ذي صـوتهـا شـجـاني
ذي صـوتهـا شـجـى الجبـال	ورعـدل الـوديـان
يـالمدرهـة؟ يـالمدرهـة؟	من ركـبش عـشـيـة؟
من ركـبش على القـمـر؟	والشـمـعـه المضـيـة؟
يـالمدرهـة؟ يـالمدرهـة؟	ومـا الصـوتش واهي؟
فـقـالت إني واهيـة	مـا احـداً كـسـاني!
وكـسـوتي رطلين حـديد	والخـشـب رُمّـانِ

وينتقل المتدرهون إلى مرحلة أخرى من مراحل المدرهة من حيث الكلمات والألحان.. هذه المرحلة تتمثل بالتغني بالمدرهة وبالحاج المسافر من خلال التغني والتغزل بأهم صفاته

معبرين عن درجة حبهم له وغلاوته لديهم بقولهم:

قد جيت أدره واعتني ومن بلاد بعيدة
ومن بلاد خلف الجبال ياليتها قريبة
قد جيت أدره معتني في حنجك يالغالي
في حنجك ياحجنا ياطلعة الهلالي
ويا لمن؟ ذا المدرهة ويا لمن؟ ذا المدرّاه
لا هي لدوله أو لمن؟ لا.. أو لحاكم حكام
لا.. أو لقاري في الكتب لا.. أو لخط الأقلام
وما ندره ما نقول؟ وفي الحجيج الغالي
وفيك ياسيد الرجال وياقنيف علاني
وفيك يانقس النبات ويادواء للأسقام
وفيك ياضبي الخلى يابو الغريب لاجا

وقد تعتلي المدرهة إحدى بناته.. أو أحد أولاده.. فيتم ترديد الكلمات التالية :

وأبي عزم مكة يحج وسامح الجيران
وأوصى بما يملك معه الله يوديه سالي
ياسائق الباص يا أمير أمانتك أمانة
أمانتك في حجنا لايحمل المهانة
أمانتك شل السلام لحجنا وأصحابه
أمانتك في وصلتك تذكره بأولاده
قد أوحشتنا فرقته مش والفين لغيابه
وحجنا قد سار يحج وطالب الغفران
الله يوديه لأخوته والأهل والجيران

على أن أجمل وأروع الصور الوجدانية والعاطفية والتي تنتزع التنهيدات من القلوب وتزيد من خفقانها وتستجيب لها العيون بترقرق الدموع في مآقيها والتي ماتلبث أن تذرف كقطرات دموع حرى.. ويصاحبها تلعثم في الألسن وحشرجة في الحناجر وهي ترفع أكف الضراعة إلى الله سبحانة وتعالى بالدعاء للحجاج.

وتقوم زوجة الحاج أو والدته أو إحدى بناته أو أبناؤه برسم هذه الصورة الجميلة التي تصور حال الأسرة وشجنها وحزنها عند مغادرة الحاج لبيته وترك أسرته متوجهاً إلى

الأراضي المقدسة.. فتقول :

لو تبسروا ياحاضرين	كيف خرجة الحجاج
لو تبسروا يالأصدقاء	كيف خرجة الجمالي
رجع من الشارع يقول	في ذمتيش جهالي
في ذمتش زرع الكبد	عاد الصغير غاوي
لو تبسروا يالحاضرين	حين قال مع السلامة
لا.. والمسبح قام وصاح	وشل بالجلالة
صر المكان من وحشته	ودمعوا جهالة
لو تبسروا ياحاضرين	حين قامت الطيارة
أحسسيت قلبي حين رجف	ودمعتي سياله
الريق في حلقي نشف	واحسسيت روحي قد ذاب
وياحجاب الله حجاب	وداعتك في الحجاج
واحفظ الحجاج جميع	من ميد رأس مالي

وننتقل من هذه الصورة إلى صورة أخرى مكملة لها تبرز الجوانب العاطفية لدى الأسرة التي لم يغب حاجها عن ذكرها .. ولا عن اهتماماتها.. من خلال التساؤل مع النفس.. ومع الأهل.. عن حالة الحجاج؟ وهل هم بخير؟ وياترى هل هم بحاجة لشيء؟ أو ينقصهم شيء؟ فلا تجد من يجيب على تساؤلاتها المصحوبة بالدعاء والدموع.. سوى وسيلة التواصل القديمة وهي «الحمام» فتناجي نفسها ثم الحمامة بقولها :

يا هل علمي يا أخوتي؟	وما لقلبي غاشي؟
ما بش خبر من حجنا	وما رزتش أكبادي
ويا حمامة عرفة	وحومي وحومي
واطلعي رأس الجبل	وأحَذرِش تنومي
واعرفي لي حجنا	وهو دقيق خضراني
واعرفي لي عصيته	هي شَوْحَط أو رمانِ
وأعرفي لي حلقته	وهي عقيق يماني
واعرفي لي دسعته	هي دسعة الحمام
واعرفي لي مصنفه	وهو حرير ذهباني
وياحمامي يا ارقشي	يا رَقَشَ الريشانِ
وشل لي ذيه الكتاب	لا.. في جناحك واغريه
ووصله يد حجنا	يفتشه ويقراه
في اوله مني سلام	وآخره تعتاب
اذا سأل كيف حالنا	قل: سلم الله حالك

وما تلبث حالة الوجد والشجن ان تصور لها ان تلك الحمامة «الحمامي الأرقش» ا لتي بثتها شجونها ودخلت معها في حوار أنها قد بشرتها برؤية الحاج الذي تبحث عنه.. فتنفست الصعداء ومن قلب مكلوم لفراقه وزفرات حرى لبعده وسعادة غامرة لأخباره.. وبشعور المرأة أو القريبة المحبة له تتخيل أنه يمشي راجلاً في حرارة الجو وتحت هجير الشمس وهو مُحرم في طريق مكة.. فتخاطب طريق مكة بقولها :

ويا طريق مكة طريق   لا.. وازرعي رمان
وازرعي ليمون وليم   لحِجنا يطفي

اما وقد عرفت أين هو ؟ وارتاحت نفسها لانه قد سد رمقه وارتوى ظمأه برمان وليمون وليم طريق مكة.. فلابد وان تدخل معه في حوار وجداني جميل بقولها:

ياحجنا.. ياحجنا عادك؟   وأين قدك؟ وأين عادك؟
قال: عادنا وسط الحرم   وملتوي لزمزم
لو تبسرونا ياأهلنا   يوم الوقوف ما ارحمنا
مخلسين باجسامنا   وربنا ينظرنا

فتقول له:

هَنيت للحجاج جميع   حين عيدهم في مكة
حين عيدهم وسط الحرم   وشاربين من زمزم

فيرد عليها :

لاتقلقوا مني ولا   فانا بخير متعافي

فترد عليه:

قد قالوا اهلك ياظنين   ما هِنيهُمْ هاني
مَا هِنِتْهمُ عرفة   عاد كل شي لك باقي
مش والفين لفرقتك   ولِلْحُكَى من لِسْنَك

وما يلبث أن يخاطب والدته:

ياوالده ياأم البدور   لا تِوْحِشِيش أكبادي
وزيِّدي لي في الدعاء   الله يصلح شأني

وبعد أن يطلب منها الدعاء له بالتوفيق في أداء مناسك الحج تشخص بعينيها إلى السماء وترفع يديها متوجهة بدعائها إلى الله العلي القدير قائلة :

ياحافظ الحوت في البحور	احفظ جميع الحجاج
واحفظ جميع حجاجنا	من مَيْد راس مالي
وحجنا عادوه غبي	لا.. واحفظه ياربي

وفي غمرة هذه المشاعر الوجدانية والعواطف الجياشة لم تنس من اعتلت المدرهة ان تذكره بضرورة السفر إلى المدينة المنورة وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتقول:

ياحجنا شد الرحال	وارحل إلى المدينة
وزور قبر المصطفى	وزور بقيع الفرقد
من زار خير المرسلين	يستوجب الشفاعة

ولأن أسرة الحاج دائماً ما تهفو قلوبهم إليه.. وتلهج ألسنتهم بذكره والدعاء له وتسايره في حله وترحاله.. فهي تعرف أن أحد أركان الحج الوقوف بعرفات ومن ثم الإفاضة إلى منى ا لتي لابد من المبيت بها ثلاثة أيام فتتوجه من تعتلي المدرهة «أو من يعتلي المدرهة من الرجال» إلى من سيقيم الحاج عنده في منى وهو « المقهوي» فتخاطبه قائلة:

يا مقهوي في منى	قوم إلقف الحجاج
قُوم إلْقَفَ الحَجاج جميع	قاصياً وداني
ولقم الدلَّة عَسَلْ	وبَخِّر الصَّيَاني

وتزداد لواعج الفرقة وعذابات الفراق المصحوبة بالمزيد من الشجى والشجن والرغبة الكامنة في النفس لتسارع الأيام وإتمام ما ذهب الحاج من أجله ومن ثم الشوق والحنين لعودته إلى أهله وأحبته وجيرانه.

ويعبر عن هذه المشاعر خلال اعتلاء المدرهة بترديد الكلمات التالية:

ياحجنا.. ياحجنا	الله يعيدك سالم
تعود لنا مثل الرعود	مثل السحايب ا لسود
قد المكالف مشجنات	وابنك علي مراعي
ياحجنا ويا ظنين	الشل وأنت مالي
ياحجنا... ياحجنا..	قوم أقطف الشداد
وقل لمكة خَاطِرشْ	شَاسِير لِي بِلادي
شَاسِير لِي بين اخوتي	وبين زرع أكبادي

ويقدر فرح الحاج الكبير وسعادته الغامرة أن وفقه الله تعالى إلى تمام مناسك الحج..
بقدر شوقه الغامر ومشاعره الفياضة لوطنة وأهله وجيرانه وأحبته الذين كانوا معه.. وهو كان معهم أينما حل أو ارتحل.. بقدر ما يحرص على التعبير عن عدم نسيانه لهم واعترافه بجميلهم فيحرص على أن يحمل معه الهدايا لهم ويأتي هذا استجابه لما يردده كل من اعتلى المدرهة مخاطبين إياه بقولهم :

يـا حـــجنا ويا شَلِيلْ	وزَيِّد الـهـــــديه
وادّي هـــدايـــا لـلـبـنـــات	لا.. عَقْد.. عَقْد مِرْجان
وادّي هدايا للعـــيـــال	لا.. حَـولْيَــاتْ وشِـيْــلان

وما يلبث من يعتلي المدرهة أن يدخل في حوار مع احجار المدرهة التي عادة ما توضع في حفرة كبيرة وتنصب الأخشاب بينها فيتم الحوار مع أحجار المدرهة بالقول :

يـاحـــجـــار المدرهة	عَنِعْـــمِــــرِيشْ ديواني
عنعـمــريش ديوان جـديد	لِوَصلة الحـــجـــاج
ويـاحـــجـــار المدرهة	ويـــاثـــلاث ويـــااربـــع
ومــا تـوصـــاش حــجنا	ومــا تـوصـــاش مــا قـــال؟
وهـو تـوصـــاش في العـيـــال؟	وفـي الـزراعـــــة والمال؟

وبعد هذه المرحلة نصل إلى المرحلة الأخيرة من مراحل الحاج ورحلته لأداء فريضة الحج وما قيل عنها من خلال المدرهة.
المرحلة الأخيرة تتمثل في استعداد الحجاج للرحيل إلى أوطانهم وانعكس ذلك على أسرة الحاج الذي نصبوا له المدرهة والذين يتسابقون إلى كل حاج يصل من الأراضي المقدسة للاستفسار عن حاجهم وهل شاهدوه؟ وهل يعرفون موعد وصوله؟ وهذا من قبيل الشوق له من جهة.. ومن قبيل الفوز بالبشارة على اعتبار أن من يبشر بالحاج أولاً يكون له

البشارة وعادة ما تكون من الهدايا التي يحملها الحاج.. غير أن من يعتلي المدرهة لاينسى أن يجسد هذا الموقف من خلال الأبيات التالية:

ويا مُبشر بالحجيج	بشارتك بشاره
بشارتك دار الوصول	وتلحقه شراره
بشارتك بير العزب	وتلحق الجبانه
بشارتك سوق العنب	وتلحق المعطاره
ويامبشر بالحجيج	بشارتك من عيني
بشارتك حلقة يدي	والقرش ألي في جيبي
بشارتك خاتم ذهب	واربع حبوب من صدري
بشارتك قصر السلاح	وتتبع الوزارة
ويا أخو الحاج الكبير	قوم احتزم والقى اخوك
ياجَملي يابو عباد	قوم.. احتزم والقىَ أبوك
قوم القفه لقفة ملك	لا.. واضرب الطيسانِ
لا.. واذبح الثور الكبير	لا.. واكرم الضيفانِ
لا.. وافرش الديوان حرير	ووضًع المداكي
لا.. واقطف أغصان الشذاب	لا.. واكسر البيض في الباب
ثم الصلاة تغشى النبي	الهاشمي العدنان
وآله الأخيار جميع	وصحبه الفتيانِ

هذه الأبيات التي كانت تؤدى في المدرهة والتي تم جمعها من عدد من الآباء والأمهات والأخوة والأخوات الذين مازالت ذاكرتهم تحتفظ بمثل هذه الأبيات.

ونتمنى أن يتم إثراء المدرهة بالكلمات التي قد تكون اختفت باختفاء من كانوا يرددونها..

من تقاليد الحجيج في اليمن
(تغاريد المدرهة)

(دراسة أولية) ■ أروى عبده عثمان

■■ عبّر الوجدان الجمعي، والروح الشعبية، بأشكال تعبيرية عن العديد من المناسبات الدينية الكبرى التي يحتفل بها المسلمون في أرجاء العالم. ومن هذه المناسبات الدينية الهامة مناسبة الحج الى مكة المكرمة، والوقوف في عرفة.. حتى أن بلادنا تطلق على عيد الأضحى تسمية (عيد عرفة) امتناناً بوقوف المسلم ضارعاً لله سبحانه وتعالى في هذا الجبل المقدس.

وتتشابه مظاهر الاحتفال في دولنا العربية والإسلامية منذ الاستعدادات الأولى لسفر الحاج وتوديعه وحتى عودته، لكن تبقى النكهة الخاصة لكل بلد في أداء التقاليد بهذه المناسبة أو تلك.

أعود بذاكرتي الى ما قبل عشر سنوات، عندما كنا نشاهد الحجيج يجوبون المدينة حتى يصلون الى المطار، وهم على متن السيارات التي تحمل مكبرات الصوت، يرتلون الأدعية، وجملة من التسابيح، والذِّكر.

لحظات من الشَّجَن اللذيذ.. مسحة من الصفاء والوجد الروحاني تتابك عند سماعك أذكار الحجيج.. فلا تملك إزاءه إلاّ أن تدمع عيناك. كم رأيت أعيناً دامعة وصلوات، وتهاليل تردد من قبل جموع المارة أثناء مشاهدتها موكب الحجيج، وسماعها تلك الأدعية والتسبيحات. ■■

تقليد كهذا يمارس في المدينة لا يعيب ولا ينقص أو ينتقص من مظاهر المدينة أو المدنيــة في شيء.. بل بالعكس يزيد من ثرائها. وحتى في دول العالم الغربي هناك الكثير من التقاليد الشعبية والتقليدية تمارس في قلب عواصمها، وكلنا نشاهد ما يعرض في القنوات الفضائية من الكرنفالات، وحلقات الرقص الشعبي أثناء أعيادهم القومية.. فلماذا تهمل في أوطاننا العربية مثل هذه التقاليد العريقة والجميلة، لتدخل بعد ذلك في طور التلاشي والموت تحت حُجَج واهية: التطور،

والتقدم... الخ.. لماذا؟؟!!!

في بلادنا نرى -وللأسف- الكثير من تقاليدنا وممارساتنا الشعبية للعديد من أشكال تراثنا الشعبي والتقليدي تختفي وتنقرض دون تدوين أو توثيق، ومنها تقاليد الحجيج التي بدأت تختفي من بلادنا، وبالذات في العاصمة صنعاء.

تقاليد المدرهة:

في اليمن، وبالذات في المناطق الشمالية كمدينة صنعاء، يُعد تنصيب (المدرهة)[1] أو ما تُسمى في مناطق أخرى من اليمن باسم (التدورة) أهم معلم مرتبط بالحجيج، فعندما ينوي الحاج القيام بأداء مناسك الحج.. يقوم الأهل، والجيران والأقارب بتنصيب (المدرهة) في حوش أو فناء كبير في منزل الحاج أو أحد الجيران، وأحياناً يتم تنصيبها في إحدى ساحات القرية أو مكان تجمع الناس كالميدان أو ما يسمى بـ(العَقْمَة).

وتصنع (المدرهة) من الأشجار القوية كأشجار (الطلح) أو (الأثل) أو (الطوالق) ويتم توثيق أعمدتها بحبال قوية ومتينة تسمى حبال «السَّلَبْ»[2]، وأحياناً تصنع هذه الحبال من الجلد، وتكون على شكل ظفائر..

ويتحرى الأهل عن أهمية توثيق أعمدتها خشية انقطاعها، فانقطاعها يحمل اعتقاداً ينذر بالشؤم من أن الحاج في خطر يحدق به. ولنر هذه التغريدة ماذا تقول:

يَا مَدْرَهَةْ سِيْرِيْ سَوَاءْ
لاَ تِرْخِيْ الحبَالْ
لاَ تِرْخِيْ الحبَالْ السَّلَبْ
فُوْقِكْ ثَقِيلَهْ غَالِيْ

و(المَدْرَهَةْ) هذا التقليد المتميز للحجيج لا تُنْصَبُ في بلادنا شكلاً فقط، بل يحوي تنصيبها الكثير من التقاليد والطقوس.. فمنذ سفر الحاج، وفترة انتظاره، ثم عودته سالماً.. تشهد (المدرهة) العديد من التقاليد، مثل: إلقاء الأدعية، الموالد، الرقصات، الأغاني الشعبية، وبالأخص أغاني أو تغاريد المدرهة، عقر الذبائح، إطلاق الرصاص والمفرقعات النارية مثل (الطماش)... الخ.

ومن التقاليد الخاصة لتنصيب المدرهة يأتي تزيينها، فتزين بكسوة تسمى (كسوة الحج) وهي ملابس الإحرام، وتبدأ من ثاني أيام عيد الأضحى، حيث تستبدل ملابس الإحرام بملابس الحاج سواء أكانت الملابس العادية أم ملابس المناسبات، وتنشر هذه الملابس بالاضافة الى عدته أو أدوات زينته على أعمدة المدرهة مثل (الزنة) الإزرة.. العمامة.. وجهازه كالجنبية، والبندقية القديمة كبنادق «الجرمل[3]» والبنادق العربية، وكذلك تسري هذه التقاليد على المرأة الحاجة، فالمرأة الحاجة تنشر ملابسها الثمينة، والمطرزة، وخصوصاً ملابس عرسها.. وتُصَفُّ حليها ومصوغاتها الفضية والذهبية على أعمدة المدرهة.. بالاضافة الى أدوات الزينة مثل «المشاقر[4]»، المجموعة من الريحان، والشذاب[5] وَالأَثْلاَن[6]، وبعض الزهور البلدية.

وتزين (المدرهة) أيضاً بالأجراس والكرات

الزجاجية (الصناصن) وأنواع النباتات الطرية ثم تبخر بأجود أنواع البخور، والذي يسمى «الشوير[٧]» وتتم كل هذه العمليات وسط الأدعية، والزغاريد والتغاريد. وعند الانتهاء من تزيينها يتم «التدرُّه» بها، بحيث يشترك كل من الأطفال والرجال والنساء في مواقيت محددة للتمرجح عليها.. ففي الصباح وحتى الظهر (يتدره) عليها، وفي العصرية يتدرهن النساء والأطفال، وأما في المساء، بعد صلاة العشاء بالتحديد، تبدأ فترة الرجال لتمتد حتى منتصف الليل.

والتدره يكون بين اثنين أحدهما يكون جالساً والآخر واقفاً، حيث يغرد أحدهما بصوت، والآخر يرد مكرراً التغريدة، أو ما يسمى في فنيات الأغاني الشعبية (يشل) والآخر يرد.

من يبدأ بالتدره[٨] هم الأهل.. كالإبنة عندما (تدرُّه) لأمها فتقول:

(جيت ادره لأمي الضنينة) والزوجة عندما تدره لزوجها تقول: **(جيت أدرُّه واغني لك يا غالي)** وبالمثل للأب والأم. وبعد ذلك يأتي الأقارب والجيران.

تغاريد المدرهة:

استعداد الحاج للسفر -نصب المدرهة- انتظار عودة الحاج من مكة- كل هذه المحطات عبّر عنها الوجدان الشعبي بجملة من التغاريد أو الأغاني التي تحمل في طياتها شحنات انفعالية وعاطفية قوية.. فرح يختلط بالحزن والترقب، حالات من التوجس والقلق النفسي تظل تحيط بأهل الحاج وأقربائه.. وتنتهي كل هذه الانفعالات بعودته سالماً.

كل هذه الشحنات العاطفية يسكبها الوجدان الجمعي على (المداره) ولمدة أشهر. ففي الماضي كان الحاج يقضي من أربعة أشهر الى ستة أشهر في الذهاب والأياب الى الأراضي المقدسة، والعودة.. فالطائرة لم تكن قد اخترعت، وكانت وسيلة الحاج آنذاك إما مشياً على الأقدام، أو ركوب البغال، أو السفر على متن البواخر (السواعي).

يَا مُحَمَّدْ ويَا عَلِي
تِسْبِرَ[٩] السَّوَاعِي
يِسْبِرَ الْبَحْرِ الْمحِيطْ
لِمَشْيَةِ الْحُجَّاجْ

ولذا كان سفر الحاج آنذاك محفوفاً بالمخاطر.. مخاطر الوحوش، وقطاع الطرق، ومخاطر الغرق، وغيرها من المخاطر.. لذا نرى الحاج يكتب وصيته قبل المغادرة، وكذلك يطلب المسامحة من الأهل والجيران، ومازال هذا التقليد جارياً حتى الآن.

وفي اعتقادي أن نبرات الحزن الشديد التي تكتسي بها مغارد الحجيج، والمدرهة، ربما تعود الى حادثة الحجيج المشهورة لليمنيين، والتي حدثت في عام ١٩٢١م (الموافق ١٣٤٠هـ) وراح ضحيتها ثلاثة آلاف حاج يمني، ولم ينج منهم سوى خمسة حجاج فقط.

لنر هذا المغرد الذي يقال للحاج وهو ما يزال في داره منتظراً وسيلة المواصلات:

لَوْ تِبْسِرُونَا يَا هَلْنَا حِينْ طَرَقْ[١٠]
الْبَاصْ فِي الْبَابْ
حَسَيتْ قَلْبِي رَجَفْ، وِدَمْعَتِي سَيَّالَهْ

ومغرد آخر حين يسمع إشارة الباص أو السيارة التي ستقله الى المطار فيتجه نحوها، لكن سرعان ما يرجع الى أهل بيته (زوجته) ويوصيها بأولاده، وبالذات الابن الصغير:

لَوْ تِبْسِرُوا[11] حِيْن رَجَعْ مِنَ الْبَابْ
رَجَعْ يِقُولْ فِيْ ذِمَتّشْ[12] جِهَالِيْ
فِيْ ذِمَتّشْ عَوَلَ الْكَبِدْ[13]
عَادُوا زِغِيْر[14] غَاوِيْ

وهذه تغريدة أخرى تصف مشاعر أخرى وهي حالة الحاج أثناء سفره.. ونتبين من هذه التغريدة وسائل المواصلات التي كانت تقل الحجاج في فترات زمنية بعيدة (المشي في الخلاء) أو تحت السحاب، والمقصود بها الطيارة:

وأَنْتَ تِمْشِيْ فِيْ الْخَلَا
وَهْلَكْ عَلَىَ الدِيْوَانْ[15]
يَا حِجَابَ اللّهْ لِمَنْ سَرَحْ وِغَابْ
لِمَنْ سَرَحْ[16] تَحْتَ السَحَابْ
وَاحْفَظْهُ يَاوَهَابْ

إن الوجدان الجمعي للإنسان اليمني عندما يبدع الأشكال التعبيرية، مادية كانت أم روحية، يبدأها بالبسملة وقراءة الفاتحة وذكر الله.. لنر هذا المغرد ماذا يقول في افتتاحيته عند الطلوع الى المدرهة:

بَدَعْتْ[17] بِشْ[18] يَالْفَاتِحَةْ
يَا خِيرَةَ الأسامِيْ
يَا خِيرَةَ اللّهْ وِالنَّبِيْ
وَلاَ حَضَرْ شَيْطَانِ

وفي تغاريد أخرى:

بِسمْ مِيمْ أَلِفْ هُوْ أَوَّلَ الْقُرآنِ
أَوَّلَهْ لَصَمَ الْحَدْيدْ[19] وِآخْرَهْ سَيْلاَنِيْ

أو

وَقَدْ طَلَعْتْ الْمَدْرَهَةْ عَلَىْ حِسَابْ رَحْمَانِ
فِيْ حِسَابْ وَاحِدْ كَرِيمْ جَلَّ مَالِهْ ثَانِيْ

واذا ما تمت دراسة هذه التغاريد مستقبلاً من قبل باحثين أو تبنتها مراكز دراسات وأبحاث، فإن عشرات الأبحاث والدراسات لن توفيها حقها لما تحمله من مشاعر إنسانية بالغة التعقيد، وبالمثل بالغة البساطة والعمق.

نجد الاستفهامات، حوارات (المونولوج) و(الديالوج) الدلالات، والتشبيهات، والتعبيرات البلاغية الجزلة.. يطرحها الإنسان اليمني البسيط على لسان المرأة كزوجة، وام، ويطرحها الرجل للحاج، كأخ، وأب، وولد.. لنر بعضاً من مقاطع تغريدية تتحدث عن صفات الحاج، أو بالأحرى أوصافه الخارجية (لحيته - عصاته - قميصه - إزرته - لون بشرته أو جسمه..):

يَا حَمَامَةْ «عَرَفَةْ»
حُوْمِيْ.. وِحُومِيْ[20]
واِعْرِفِيْ لَنَا حَجَّنَا
هُوْ طَوِيلْ خُضْرَانِيْ
واِعْرِفِيْ لَنَا وِزْرَتَهْ
هِيْ كُلْهَا بِيْضَانِيْ
واِعْرِفِيْ لَنَا عِصِيْتَهْ
هِيْ شُوْحَطْ[21] أَوْ رُمَّانْ[22]

وتغريدة أخرى تقول:

واِعْرِفُوا لِحُيَتَهْ
حُمْحُمِيْ[23] سَوَّادِيْ

وَالْعصَا هِيْ خَيْزَرَانْ
وَالْقَمِيصْ جِيْلاَنْ(٢٤)

ومثلما تحدثت هذه التغاريد عن أوصافه الخارجية ذكرت أيضاً صفاته الروحية الداخلية فتقول:

يَا حَجَّنَا شَيْبَهْ رِضِيْ
يَطْلُبَ الرِّضْوَانْ
يَطْلُبَ اللَّهْ وَالنَّبِيْ
وَأَحْمَدَ الْعَلْوَانْ(٢٥)

وهنا مغارد تصف الحجيج في مكة.. إنه تساؤل يطرحه أهل الحاج:

وِيَا حَاجْ ايِنْ قَدَكْ(٢٦)
وِايِنْ عَاْدَكْ(٢٧)

فيجيب الحاج:

عَاْدَنِي(٢٨) وَسْطَ الحَرَمْ مِلْتَوِي لِزَمْزَمْ

وفي مغرد آخر يأتي وصف آخر:

لَوْ تِبْسِرُوا يَا أَهْلَنَا وَسْطَ الحَرَمْ مَرْحَمْنَا
مُخَلَّسِينَ بَاجْسَامْنَا وَالإِلَهْ يِنْظُرْنَا

جملة التمنيات التي تسكب على المدرهة برجوع الحاج سالماً وسالياً تقول:

وَحَجَّنَا قَدْ سَارْ يِحِجْ
اللَّهْ يِرْجِعهْ سَالِيْ
يِرْجِعِهْ لِلأَهلْ وَالأَصْحَابْ وَجُمْلَةَ الجِيْرَانْ

وتغريده أخرى:

يَا حَجَّنَا يَابُو عَلِيْ
اللَّهْ يعَوِّدَكْ سَالِيْ
تُعُوْدْ مِثْلِ الرِّعُوْدْ
وَالسَّحَايِبْ السُّوْدْ

المُبشـــر:

مفهوم في الوعي الشعبي يحمل العديد من الدلالات الاجتماعية والثقافية والنفسية في ثقافتنا الشعبية، وبالأخص التراث الشفهي. والمبشر: هو الرجل الذي يحمل البشرى أو البشارة كما ينطقها أهل اليمن. وفي شمس العلوم يقول العلامة نشوان الحميري عن البشارة:

(هي: أول خبر يرد على الانسان بما يسره، وقيل إنها بما يغم.. إلاّ أن استعمالها في ما يسر أكثر، وهذا ما وجدته في مجموع تغاريد الحجيج)❖.

في الماضي كان للمبشر وجود واتصال قوي في أوساط الناس كونه يعد الوسيلة الاعلامية لمعرفة أخبار الأهل والأقارب من موطن الى آخر، أما بعد التطورات التكنولوجية في وسائل الاتصال والتواصل فلم يعد للمبشر أي وجود سوى في ذاكرتنا الشعبية أو ربما في أقاصي الريف اليمني حيث تنعدم وسائل النقل المتطورة.

ومبشر الحجيج.. اسم يتكرر في كل تغاريد الحجيج، وتغاريد المدرهة على وجه الخصوص. ومازال هذا الاسم بكل دلالاته الماضية التي ذكرناها سالفاً يتكرر وبشكل قوي في أفواه ووجدان الناس.

والمبشر هو أول حاج يصل من الأرض الحرام حيث يحتشد الأهل والجيران وأهل القرية، بل القرية المجاورة، ليسألوا عن أهلهم وذويهم من الحجيج إذا ما كان قد التقاهم في مكة أثناء أداء مناسك الحج..

وإذا ما حمل لهم البشرى من رؤيته لحاج أو حاجة وذكر أنه في حال سالم وبخير، أو ذكر أنه سيأتي في موعد تال.. فلابد أن تلحقه البشارة.. وهي على هيئة نذور مادية أو معنوية. لنرى هذا المغرد المحمل بالبشارة المعنوية، وإن تخفت في أوصاف وملامح مادية:

يَا مُبَشِّرْ بِالحَجِيجْ بَشَارْتَكْ بَشَارَةْ
بَشَارْتَكْ صَفَا اليَمَنْ وِتِلْحَقَهْ شَرَارَةْ

وفي تغريدة أخرى نرى البشارة العينية التي تتمثل في الحلي وبعض المصوغات:

يَا مُبَشِّرْ بِالحَجِيجْ بَشَارْتَكْ بَشَارَةْ
بَشَارْتَكْ حَلَقَةْ يَدِي[٢٩] وَارْبَعْ حُبُوبْ
مِنْ صَدْرِي[٣٠]

أما عندما يتناهى الى اسماع الأهل من أن حاجهم سيصل بعد فترة وجيزة من الزمن مدة أسبوع، أو قد تمتد شهراً، فتبدأ مراسيم الاحتفال لاستقباله.. فيتم إخراج الأطعمة اللذيذة المخزونة لوصول الحاج كالسمن والعسل البلدي فتقول التغريدة:

وَحَجِّنَا قَدْ سَارْيِحجْ
وِكُلْ شِي لُهْ وَاكِفْ[٣١]
قَدْ وَكَّفُوا سَمَنْ الْبَقَرْ
وَالْبِرْ وَالْعِسِلَانِ

وعند وصوله يتحول الاستقبال الى عرس كبير، فتعقر الذبائح، وتقام الموالد، وتؤدى الأناشيد والأغاني والرقصات الشعبية:

يَاحِجَارْ الْمَدْرَهَةْ
عَنْعَمْرِشْ[٣٢] دِيْوَانْ
دِيْوَانْ كَبِيرْ
لِوَصْلَةْ الحِجَّاجْ.

وهذه الاستعدادات والاحتفالات يقوم بها افراد اقارب عائلة الحاج بمن فيهم الجيران، وأحياناً يوكل كل هذا العمل الذي يتحول الى ولائم الى جماعة تقوم بهذه المهام مقابل الأجور. لنر هذه التغاريد التي تنفح من أحرفها المباهاة والمفاخر، والتي من خلالها نستطيع أن نلمس الفوارق الطبقية بين الناس وبالأحرى المستويات الاجتماعية:

يَا مِزَيِّنْ[٣٣] يَاشَلَيْلْ[٣٤] قُمْ فَرِشْ الْدِيْوَانِ
إفْرِشْهُ فَرْشِ حَرِيرْ مِنْ حَرِيرِ الشَّامِيْ
يَا مْحَمَّدْ وِيَا عَلِيْ وَلَا حَضَرْ شَيْطَانِ

وفي تغريدة أخرى:

يَا مِزَيِّنْ يَا شَلَيْلْ
قُمْ فَرِشْ الدِّيْوَانِ
فِرْشُوا لُهْ الرُّعولْ[٣٥]، ورَفْعُوا الْمَدَاكِي[٣٦]
وِقَرِّبِ الصَّحْنْ وِغَسْلِ الصِّيَانِي
وِنذْبَحْ الثُورَ الكَبِيرْ
وِنلقَمِ الدلَّةْ عَسَلْ
وِنْرَشْرِشِ المِيْدَانِ

الهوامـــش

(١) المدرهة: الأرجوحة والجمع مداره
(٢) حبـال السلب: شـجـيـرات صبـارية سـيـفـيـة سميكة حادة الرؤوس.
(٣) الجرمل: نوع من أنواع البنادق القديمة.
(٤) المشاقر: أضاميم الورد والريحان وغيرهما.
(٥) الشـذاب: نبـات عطري يحـمل مـعـتـقـداً أنه يحمي الانسان من الحسد والأرواح الشريرة.
(٦) الأثلان: نبات عطري وطبي في آن.
(٧) الثوير: مجموعة لعدة أنواع من البخور وبالذات مادة (المر) ويصنع خصيصاً للعروسة والمرأة والوالدة، وكذلك يستخدم للحجيج.
(٨) التدره: التأرجح.
(٩) تسبر: تصلح.
(١٠) طرق: دق.
(١١) تبسروا: تنظروا.
(١٢) ذمتش: الذمـة هي العـهـد والضـمـان وتقلب كاف المخاطبة (ذمتك) الى شين (ذمتش) في لهجة بعض مناطق اليمن كصنعاء.
(١٣) عول الكبد: فلذة الكبد.
(١٤) زغير: صغير.
(١٥) الديوان: الغرفة الكبيرة لاستقبال الضيوف وتسمى بالمفرج.
(١٦) سرح: ذهب.
(١٧) بدعت: بدع.. بدأ، وبدعت.. بدأت.
(١٨) بيش: بك.
(١٩) الصم: من اللوك والمضغ.
(٢٠) حومي: الأصل حام.. أي دار به.
(٢١) الشـوحـط: شـجـر من أشـجـار الجـبـال تتـخذ منه النبال.
(٢٢) رماني: عصاة تصنع من أشجار الرمان.
(٢٣) حمحمي: صفة للريحانة النضرة وخاصة اذا كـانت كثيـفـة وفيـهـا البـراعم والـزهور أو البذور.
(٢٤) جيـلان: من أنواع القـمـصـان غـاليـة الثـمن ويلبسها علية القوم.
(٢٥) أحـمـد العلوان: هو أحـمـد بن علوان أحـد أشهـر متصوفة اليمن - مشهـور بكراماته في معظم مناطق اليمن.
(٢٦) قدلك: الكاف للمـخـاطبة وتعني في النص كم من المسافة قد قطعتها.
(٢٧) عادك: الكاف للمخاطبة وتعني في النص كم من المسافة ستقطعها.
(٢٨) عادني: لازلت.
(٢٩) حلقة يدي: المقصود به الخاتم.
(٣٠) أربع حبوب من صدري: كناية عن الجنيهات الذهبية.
(٣١) واكف: التـوكيـف: وهو الإعـداد والتـهـيـئـة مسبقاً.
(٣٢) انعـمـرش: نبنيك - والشين تقلب الى كـاف المخاطبة.
(٣٣) مزين: طبقـة من المواطنين يوكل لـهـا القـيـام بالأعمال.
(٣٤) شليل: الشليل من الناس هـو الخـــالي مـن الهم، المقبل على الدنيا بفرح ومرح.
(٣٥) الزعول: الفراش التي تصنع من جلد الماعز.
(٣٦) المداكي: نوع من أنواع المخدات.

المراجـــع

❖ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم للقاضي العالم: نشوان بن سعيد الحميري، الجزء الأول، ص١٦٢، عن دار إحياء الكتب العربية.

Traditions of pilgrims in Yemen 'Al-madraha' (the Swing) chants

By: Arwa abduh Othman

Muslims around the world celebrate important religious events in a public, spiritual and collective manner. One of the most important religious celebrations is the pilgyimage to Mecca (Hajj) and the standing at Mount Arafah. Even Eid AL-Adha (the feast of Redemption) is called in our country- Eid Arafah- a demonstration of Muslim's gratefulness for Allah at this sacred mountain.

Hajj celebrations seem to be similar in arab and Muslim countries starting with preparations for the departure and arrival of the pilgrims, but each country projects its unique traditions. I remember ten years ago, I used to watch pilgrims, convoys touring the city on the way to the airport with loud speakers reciting prayers in praise of Allah. Those moments were full of emotion and spirituality, and crowds in the street gathered in tears chanting prayers as a send off for the pilgrims.

Such a tradition aoes not degrade the civilety of urban lite but it makes cities more vibrant. We stem countries in satellite channels, westem carnivals and dancing folk groups performing to mark national holidays, then why in the Arab world, we neglect our wondergul traditions and heritage by litting it fade away?

Unfortunately, in our countries we seem to standby and watch most of our traditoins and local customs vanish and gradually become extinct without documintation. Certainly pilgrims customs hate begun to disappear in our country particularly in the capital Sana'a.

The Swig(AL-madraha) Trditio :

In yemen, especially in the northem provinces like Sana'a the erection of Al-madraha was the most important custom in preparation for the pilgrimage. When someone declared his/her intintion to perform Hajj, his/her family, friends and neighbours would build the swing in the swing would be set up in a

public area called (Al-Aqma).

Al-madraha'a was usually made from the wood of solid trees like acacia and its pillars are tied firmly by special ropes called (As- Salb) which are considered the strongest. These ropes were sometimes made of leather and braided, The pillars should be tightly fixed to prevent rupture- an ominous sign for the pilgrim. Let us review this chant:

Oh swing serve well

Don't loosen the ropes

Don't loosen the "salb" ropes.

You are bearing the weight of adear one Al-madraha'a once set up would become the cintre of attraction for a variety of customs and rituals troughout the pilgrim's hourneyfrom departure to arrival. Activities included reciting prayers, dancing, folk songs particularly Al-madraha'a chants, animal slaughtering, gunshots,

fireworks etc:..

Decoration of Al-madraha'a was an im- portant custom. Initially it would be covered in "hajj covering" a dress similar to the pilgrim's uniform during pilgrimage. On the second day of Eid UL-Adha, the coverinq would be changed to the ordinary costume of the pil grim. Each pilgrim's costumes, including the turban and old rifle, would be displayed on the pillars of Al-madraha. The family mimbers of a woman pilgrim would alwo display her expensive gowns, especially the wedding dress and jewelry, to decorate the pillars. Make-ups, perfumes and traditional flowers, bells, glass balls and expensive incense such as "Althuwair" were commonly used. The whole ritual would be carried on amid prayers, chants and yodeling sounds.

Once the decoration was achieved, children, men and women would swing according would swing in the moming and men from dusk to midnight. It usually took two to swing, one sitting and the other standing while singing a verse to be repeated by the sitting swinger. Close family usually led the swinging, tor instance the daughter would swing for her mother and the wife for the husband and so forth.

Al-madraha chants :

prepatations for departure, set-up of the Almadrha and waiting for the pilgrim's retum trom Mecca, made up the pilgrimage process.

The wole ritual would be epitomized in a varity of songs, melodies and chants full of emotions and sentimentalities. The pilgrim's family would be overwhelmed by long periods of waiting and filled with joy and rapture in anticipation

of his/her safe retum. These outpouring of emotions would be expressed in Almadraha's rituals, which could take a whole month. In the past, the pilgrim used to spend from four to six months on the joumey to the Holy land (Mecca). There were no planes and pilgrims either walked, rode on mules or went by sea.

Oh, Mohammed, Oh, Ali
Fit the boats
For the joumey of the pilgrims

The pilgrim's joumey was arduous and full of risks so the pilgrims made their wills before departure and sought forgiveness from family and neighbors.

Al-Mubasher (the good news beares)

Al-Mubasher is the person who brought good news and played an important role communicating information from the pilgrims who had not arrived to their relatives. The role of Al-mubashir has diminished in this age of telecommunication technology and has become part of our memory but continues to play a role in remote areas of Yemen. Noticeably, the word "mubashir" was repeated frequently in chants.

Al-Mubashir. being the first pilgrim to arrive from the Holy Land, would be received upon arrival by families and relatives of the other pilgrims inquiring about their loved ones.

If Al-mubashir brought good news about a bilgrim then he would be rewarded handsomely by the concemed family. Here is an example of the warble for Al-mubashir.

Oh, mubashir about the pilgrims, your reward is a great one
Your reward is Sana'a of Yemen followed by Shararah*

Once Al-mubashir confirmed the safety and near arrival of a alved one, the family would begin preparations for the arrival ceremony of the pilgrim by digging out from storage food specially saved for the occasion such as local honey and fats. The arrival festival would turn into a grand celebration marked by slaughtering animals, artistic shows and folk dancing and songs. Families and neighbors of the pilgrim were accustomed to organizing these festivals but sometimes a local group might be contracted to cater the event- an indication of the differences in social classes.

* Sharara is a distrct in Yemen.

الجزء الثالث:

من أصداء المدرهة
محلياً وخارجياً

(المدرهة) في فعاليات صنعاء

■ عبدالقادر الشيباني

• المدرهة جمعها مداره أو مدرهات التي تقام -عادة- في احواش المنازل وفناءاتها الواسعة، وكل مدرهة لها تكوينات خاصة بها، خاصة المدرهات القديمة، وهذه الظاهرة الدينينة التي تأتي فعالياتها في موسم الحج ظاهرة تراثية مُحببة لها ترانيم وتغاريد شجية.

فإذا كانت هناك من لفتة كريمة من قبل وزارة الثقافة والسياحة بمناسبة عام صنعاء كعاصمة للثقافة العربية فأعتقد إن هذه الظاهرة تستحق أن تدخل ضمن فعاليات صنعاء عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٤م خاصة ومناسبتها تأتي مع الأيام الأخيرة من فعاليات صنعاء الثقافية لعام ٢٠٠٤م.

والمعروف إن ظاهرة «المداره» تقام عادة في كثير من المدن اليمنية -وإن خفت في بعض المناطق- لهذا يخشى عليها من الاندثار، ولعل هذه الفكرة ستلقى القبول لا من قبل وزارة الثقافة والسياحة بل من الجهات التي تعنى بالمحافظة على التراث الثقافي والموروثات الشعبية، وكانت أول لفتة لإقامة مهرجان «المدرهة» أتت من الكاتبة الروائية أروى عبده عثمان مؤسسة أول بيت للموروث الشعبي في هذا العام، عام صنعاء عاصمة للثقافة العربية وتضم حتى الآن -بيت الموروث الشعبي- نماذج من التحف والحرف والأزياء الشعبية.

وبمناسبة إقامة المداره، والشدو بترانيم خاصة من بداية ذهاب الحجاج إلى حين عودتهم سالمين إلى أهليهم بعد أداء فريضة الحج، بهذه المناسبة اتذكر أني قرأت قبل ٤٥ عاماً ملحمة فريدة عثرت عليها في مكتبة الشيخ عمر «بسوق الندى بجده ألفها المفكر اليمني الكبير محمد بن إسماعيل الصنعاني» لا أدري إن كانت موجودة نسخة منها أو أكثر في دار الكتب أو مركز الدراسات والبحوث والملحمة بكاملها تزيد عن مأتي بيت تتحدث في فصول عن طقوس الحج ومحطات الحجيج من بداية خروجهم من منازلهم وأوطانهم مروراً بالطرقات ووصولاً إلى بيت الله الحرام والوقوف بعرفة مروراً بمنى وبمزدلفة ورمي الجمرات، وطواف الإفاضة، لم يترك إبن الأمير صغيرة ولا كبيرة في الملحمة إلاّ وذكرها بأسلوب شعري محفوظ. وعند عودة الحجاج إلى أهليهم سالمين غانمين بعد حج مبرور وسعي مشكور تقام المآدب بعد الترحيبات وتهاني الأهل والجيران بالوصول، وتزين مجالس المقايل والأسمار وتقدم وجبات خاصة من المأكل والمشرب بهذه المناسبة وتشدو التغاريد من «المداره» ترحيباً بالعودة.

نعم.. كم نحن بحاجة إلى إحياء مثل هذه الظاهرة الدينية وتوثيق كل محتوياتها، حتى تتكون من هذه الفعالية مكتبة توثيقية خاصة تحتوي على الأدعية والأناشيد والتراتيل والمغارد التي تشدو بها «المداره» من جنبات أحواش المنازل.. إنها «المدرهة» كظاهرة تراثية لها دور مهم في دائرة التراث الثقافي.

■ «الميثاق» - ٦ ديسمبر ٢٠٠٤م

من فعاليات عام السياحة ٢٠٠٥م

المدرهة.. أولى الفعاليات

■ عبدالقادر الشيباني

● لَعلَّ اول فعالية من فعاليات عام السياحة اليمنية لعام ٢٠٠٥م الذي اعقب عام صنعاء عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠٤م هي فعالية مهرجانية لها تقاليدها واعرافها.

فهي مرتبطة بالرياضة الروحية، والسياحة الدينية، انها «مهرجان المدرهة» الأول: «لذاكرة الماضي وشجى المستقبل» تُعنى أخيراً بالتعرف على تقاليد الحجيج في بلادنا، إحياءً للتقاليد الشعبية القديمة المعروفة.. التي كادت تختفي منها تغاريدها وترنمات المتدرهين من نساء ورجال وأطفال تصاحب الحجاج اثناء مغادرتهم اوطانهم إلى الاراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، فقد كان الحجاج في الماضي يقطعون المسافات الطويلة مشياً أو ركوباً حاملين زادهم ليصلوا ولو بعد شهر أو شهرين فالمسافات الطويلة في الماضي كانت شاقة ومضنية.. ولهذا كان أهالي الحجاج ينتظرون وصولهم بعد أداء الفريضة بشجى وخوف وشوق وبمجرد علمهم بالوصول ترتفع الزغاريد المدرهية والتراحيب بعد حج مبرور وسعي مشكور لهم.. ومن هذه الترنمات على المداره قولهم:

«يا مبشر بالحجيج
بشارتك بشاره
بشارتك صفا اليمن
وتلحقه شراره».

فيا فرحة أهاليهم بوصولهم سالمين غانمين لأن اسفار الماضي المتعبة من حيث المواصلات والاتصالات كانت تقلق الأهالي أيعود الحاج أو الحجة أو لا يعودان؟!

ومن تغاريد المدرهة الخاصة بتقاليد الحجاج:

«يا لمن ذي المدرهة
وصوتها شجاني
وصوتها شجى الجبال
ورعدً الوديان».

وكانت البادرة الأولى لتوثيق مثل هذا التراث الشعبي للكاتبة الروائية اروى عبده عثمان.. المؤسسة لبيت الموروث الشعبي في امانة العاصمة، علماً أن مهرجان المدرهة سيغدو تقليداً سنوياً يشمل مناطق اليمن.. بتنوع الفنون التي تعكس المنابع الفولكلورية في مناطق اليمن، وكان الهدف الرئيسي من إنشاء بيت الموروث الشعبي تحقيق الآتي:

- الحفاظ على الهوية الوطنية المتجسدة في الموروث الشعبي.. باعتباره مخزناً وذاكرة لتجارب شعب اليمن وانجازاته وحكمته الممتدة عبر العصور.

- الحماية الدائمة والمحافظة على الموروثات الشعبية وحصرها اولاً بيئياً ونوعياً لحمايتها من الاندثار والنسيان.. أو العبث والتشوهات والتزييف الذي بدأ يطرأ على كثير من الصناعات التقليدية والأزياء بفعل التغيرات والتطورات المعاصرة.

ومن أهم الأهداف: إيجاد قاعدة معلوماتية وتصنيفية علمية لمكونات الموروث الشعبي، وجعلها في متناول كل الباحثين والمهتمين بقضايا الموروث الشعبي اليمني.. سواءً من قبل الدارسين والباحثين من اليمنيين أو العرب أو من المهتمين من الأجانب.

كما أنه من المهم دراسة الموروث الشعبي وقضاياه ومفرداته بغية اكتشاف دلالاته ورموزه وخصائصه الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والثقافية والسمات الوطنية الرائعة.

والمأمول في الأخير أن نحسن من جمع كل ما كاد يفترض من حرفٍ وتحف وازياء وطنية والعمل على الزيادة من هذه الصنعة الحرفية والنسيج الحياكة ليستفيد الأهالي في القرى والمدن منها اقتصادياً ومعيشياً للأسر الفقيرة وتسويقها إلى السائحين والزوار الذين لا يعودون إلى أوطانهم إلا بهدايا وتذكارات من حرف البلاد التقليدية.

■ «الميثاق» - ١٠ يناير ٢٠٠٥م

بيت الموروث ينعش الذاكرة

■ جابر علي أحمد

• في الثاني عشر من الشهر الجاري (يناير ٢٠٠٥م) كنا على موعد مع مهرجان «المدرهة الأول»، الذي نظم فعالياته بيت الموروث الشعبي بالتعاون مع مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي. أشار افتتاح هذا المهرجان إلى أننا بصدد حدث ثقافي نوعي، كيف لا وهو مكرس لإحياء ملمح من ملامح الموروث الشعبي الذي يتجسد في تلك الأشكال اللامتناهية من الطقوس الاجتماعية الثقافية الروحية الفنية التي تزخر بها الربوع اليمنية؟

ومهرجان المدرهة هذا أُطرت فعاليات أيامه للتعريف بطقسه في مدينة صنعاء، ذلك أن من الواضح أن لهذا الطقس تفاصيله الخاصة العاكسة -كما يبدو- لأبعاد دينية -أيضاً- تتفاعل مع بعضها على قاعدة هذا المعطى المادي «المدرهة».

ورغم أن المرء لا يستطيع تغييب بُعد «المتعة» عن هذا الطقس -وهو أمر يمكن أن يلاحظ على تضاريس وجوه الصغار والشباب الذين غالباً ما يتدافعون على هذه اللعبة- إلاّ أن هذا المشهد في صنعاء -وهو أمر أبرزه المهرجان- يقدم نفسه من خلال:

• حج بيت الله الحرام كفرض ديني.
• قبول أفراد أسرة الحاج/ الحاجة بما يترتب على السفر من مشاق ومتاعب وربما الموت ما دام الأمر يتعلق بأداء فريضة دينية.
• تعاطف الجيران مع أسرة الحاج/ الحاجة، في مظهر رفيع للتكافل الاجتماعي.
• تلازم ذلك كله مع طائفة من الأغاني التي تتمحور حول المدرهة التي تُنصب في حوش (حوي) يتمتع بمواصفات خاصة للتجمع.

وعند تأمل المدرهة، باعتبارها طقساً صنعانياً خاصاً، لا يمكن أن تند عن ذهن المتأمل ما ينطوي عليه ذلك من هواجس دينية وفلسفية وفنية.. فمن الناحية الدينية يبدو أن المدرهة ترمز إلى وجوب أداء الفريضة مهما عظمت المصاعب، وفلسفياً تؤشر المدرهة إلى علاقة وجودية من نوع خاص بين الحاج ومعنى الوجود. أما من الناحية الفنية فمن الملاحظ أن «المتدرّه» أو بالأحرى «المتدرهين» يقدمان تنفيحاً يختلف عن كل ما سواه من أغان شعبية، ويعتبر هذا التنغيم -وهذا رأي خاص جداً- تلخيصاً لكل دلالات هذا الطقس المدهش.. كيف؟

من الواضح أن هذه الأغاني تقدم نفسها من خلال سياق نفحي ارتجالي يمتلئ شجناً وعذوبة وعمقاً، رغم أن نغمات هذا السياق لا تتجاوز الخمس درجات صوتية، والغريب في الأمر هنا أن هذه الدرجات المحدودة تمكنت من استيعاب كل الحالات الشعورية التي تنطوي عليها الأبيات الشعرية لهذا الطقس البديع، وهنا تحديداً تبرز إحدى الإسهامات الفنية اليمنية التي تنبعث من محيط صنعاء القديمة على طبق مرصع بالإنجازات التقليدية الصنعانية.

■ «الثورة» الملحق الثقافي - ١٧ يناير ٢٠٠٥م

بدون رتوش

■ د. رؤوفة حسن

• الماضي يصبح جميلا مغمورا بعطور ذاكرة مطمورة في زحام تفاصيل كل يوم. عندما تتم استعادة الذكريات لايعود الماضي نفسه كما كان باعتبار ذلك مستحيلاً، وإنما تعود انطباعات في الذهن عن مشاعر دفينة ارتبطت بالاحداث التي تم استدعاؤها من الذي صار. هكذا انعكست احداث مهرجان المدرهة في ذهني، مغمسة بأشجان الماضي الشخصية، وهزيلة في مواجهة حاضر آخرين دون ذاكرة.

المهرجان قام بترتيبه مجموعة من عشاق الموروث الراغبين في البحث عن هوية مستمدة من ذاكرة مشتركة وماض مليء بعبق الفكر المنتج أغنية أو أهزوجة أو قصيدة. وهي بادرة جميلة وجد فيها سكان صنعاء القديمة وساكناتها متنفساً كانوا قد فقدوا الحلم به. فشكروا من أعماقهم المرأة التي فكرت أن تعيد ذاكرتهم اليهم. لكن تفاصيل كثيرة تسببت في جعل المبادرة صعبة التحقيق على النحو المطلوب، فقد واجهت السيدة المنظمة للمهرجان صعوبات لم تخطر على بالها.

فمن ناحية قام بالمبادرة بيت الموروث الشعبي الذي كانت رئيسته السيدة أروى عثمان قد جمعت عددا كبيرا من الوثائق المرتبطة بالمدرهة وبالاغاني والتسابيح المواكبة لها. ومن ناحية ثانية قامت مؤسسة حماية التراث بمساندة المبادرة، وهي مؤسسة تراسها امراة أعمال شهيرة هي السيدة هدى الشرفي. وجاء ذلك في وقت كانت تتم فيه مبادرة أخرى لأحد رجال الاعمال تستهدف ايجاد مداره (مراجيح)، في مواقع مختارة من المدينة القديمة.

وجميع هذه الجهات لديها تصور ما مختلف عن الكيفية التي يمكن بها الاحتفاء بهذه المناسبة بالمقارنة مع التصور القائم لدى سكان المدينة القديمة عن عادة في ماضيهم بدأت تغيب وتتلاشى، لكنهم لا يزالوا يذكرون تفاصيلها.

فبدا المهرجان وكأنه حدث يواكبه الضجيج أكثر مما يسيطر فيه الانسياب. وهي مسألة متوقعة للتجربة الأولى. فمثلا كانت هناك القهوة التقليدية لقشر البن المطبوخة في الجمنة القديمة المصنوعة من الفخار، وفتحة فمها مقفلة بالليفة التقليدية القادمة من أشجار الليف اليمنية ذات المذاق المميز، وقد تم تقديمها في فناجين الحيسي الفخارية المصنوعة في حيس بتهامة. لكن عملية التوزيع المجانية داخل مهرجان عام جعلت المسألة تصبح مزاجية. وحدث الأمر نفسه مع انواع من المأكولات التقليدية كالخبز الصنعاني المتعدد الاصناف منه الملوج، والجحين، والقفوع، والسبايا، والسوسي، والذمول، والرشوش، واليابسة.

المدرهة والتدريه

المدرهة حسبما تقول كتب التاريخ معروفة في صنعاء منذ مطلع الاسلام. وهي اراجيح خشبية يتم ربطها بحبال من السلب، ويتم توصيل الفصلات بينها بسلاسل حديدية. وهي تنصب بمجرد سفر حاج أو حاجة وتبقى حتى عودتهما. ويتدره عليها أي يقوم بالحركة (الزغف) والانشاد في وقت واحد المتدرهون والمدرهون. والمتدره هو الذي يقوم بالتأرجح، والمدره هو الذي يقوم بالانشاد. ولا يشترط في المدره او القائمة بالتدريه الصوت الجميل بل يشترط فقط الذاكرة الجيدة والحفظ للكلمات المقفاة والنطق بها على شكل منغم متوارث اللحن ومعتاد. ويمكن الابتداع والتغيير قليلا والامعان في التنغيم لمن منحهم الله صوتا جميلا أو قدرة على ابتداع كلمات شعرية جديدة.

والفرق بين نظام المدرهة القديم ونظام الاراجيح المنصوبة في الحدائق الحديثة اليوم هو أن المداره لكل الاعمار بينما مراجيح اليوم هي للاطفال فقط. كما كانت تتميز المداره بنظام فصل بين الرجال والنساء وليس نظام تهميش والغاء كما هو سائد في حدائق اليوم. فالمجتمع اليمني الذي كان يرغب في الفصل بين مجال تسلية النساء وفرص الترفيه عنهن وفي نفس الوقت تسلية الرجال والترفيه عنهم دون خرق المألوف، نظم ساعات المدرهة الصباحية وبعد العصر للنساء والاطفال فقط، بينما جعل الامسيات للرجال.

اليوم لم يصبح المجتمع مختلطا ولا عاد منفصلا وكحل للمشكلة لم يعد هناك فرصة للرجال للتمرجح في الحدائق العامة لأن ذلك قد يؤدي الى السخرية، ولا يسمح أيضا بالتمرجح للنساء في هذه الحدائق نتيجة العيب الذي سيعتبرهن مقترفات له لو تمرجحن أمام أنظار العامة.

الرتوش للماضي

أن نقيم مهرجانات لعاداتنا التي أوشكت على الغياب والرحيل أمر جميل، ولكن حاضرنا أيضا بحاجة الى تأمل وتعديل. حدائقنا أصبحت أقل ارتباطا بنا عما كانت عليه بساتيننا. واراجيحنا أكثر بعدا عنا عما كانت عليه مدارهنا. والعيد صار تأزيم نفقات على العائلات وعبء رحلات لأماكن غير سهلة، تتحمل فيه النساء مشاق كل شيء وينزوين على الشطآن او بعيدا عن العيون تحت شجيرات لا تفيء من الشمس دون وسيلة للتسلية او الانشاد او السباحة أو أي متعة تجعل العيد للنساء ذا معنى وقيمة. على الأقل كانت المداره تنصب للحجاج قبل عيد الأضحى وبعده فتأتي النساء للتسلي والسعادة طوال النهار، ويأتي الرجال في المساء فتكون لهم طقوسهم للمشاركة.

ولأن العيد حان، رغم كل المصاعب المتوقعة فيه، أقول لكم عيد سعيد وكل عام وانتم بخير.

■ «٢٦سبتمبر» – ٢٠ يناير ٢٠٠٥م

المدرهـــة

■ إبراهيم المعلمي

● لدينا الكثير من العادات والتقاليد النادرة والجيدة والمحببة إلى النفس والمرتبطة بالوجدان والنابعة من أصالة الموروث الثقافي والحضاري والفلكلوري اليمني الخالص.

ويعود إليها الفضل في تكوين شخصية الانسان اليمني وبلورة ثقافته واخلاقه..

وتندرج تحت هذه الموروثات والعادات القديمة الكثير من الأشياء الجميلة التي ما يزال بعضها قائماً حتى الآن.. ومنها «المدرهة» أو الارجوحة التي كانت تنشط بكثرة وبصورة ملفتة في مواسم الحج في صنعاء وبعض المدن اليمنية.. بينما كانت تكاد تختفي في باقي ايام وشهور العام.

ولم تكن المدرهة مجرد لعبة ترفيهية يقضي بها الاطفال اوقات فراغهم، بقدر ما كانت لها دلالاتها ومعانيها المرتبطة بطبيعتها كلعبة تعتمد على الذهاب والاياب في حركة دائمة تجسد ذهاب الحجاج إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج والتمني لهم بالعودة السالمة والغانمة.

وفي خطوة موفقة.. التقطت مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي وبيت الموروث الشعبي، هذا التقليد الجميل وحولته إلى فكرة مهرجان واحتفالية ثقافية من المقرر اقامتها في صنعاء في الفترة من ١٢-١٤ يناير الجاري.

وهو أول مهرجان ثقافي يعنى بالتعرف على تقاليد الحجيج في اليمن التي تمثل المدرهة أبرز معالمه بتغاريدها الشجية التي كان ينشدها الاطفال والكبار نساءهم ورجالهم عند امتطائهم المدرهة وتقول في بعض مقاطعها:

«ياحمامة عرفة حومي وحومي

واعرفي لنا حجّنا هو طويل خضراني

واعرفي لنا وزرته هي كلها بيضاني

واعرفي لنا عصيته هي شوحط أو رماني».

■ «الثورة» - ١٠ يناير ٢٠٠٥م

بيت الموروث الشعبي

■ ياسين التميمي

• عظيم هو الدور الذي تؤديه الأخت أروى عبده عثمان للعناية بالموروث الشعبي، انه جهد مؤسسة واستحقاق مجتمع بأكمله.. ومع ذلك تجاهد هذه السيدة من اجل ان نحظى نحن والاجيال التي ستأتي بعدنا بفرصة التعرف على جانب من الماضي من ملامح الصورة التي تشكلت ذات يوم وميزت آباءنا واجدادنا سلوكاً وملبساً ونمطاً معيشياً وبوحاً وجدانياً.. أو ما يمكن اختزاله بعبارة الموروث الشعبي.

هذه الزاوية لطالما كانت معنية بالسياحة وعندما اتحدث اليوم عن بيت الموروث الشعبي الذي اسسته الاخت اروى عبده عثمان فإنني لا ابتعد كثيراً انني اقترب من السياحة بل اتحدث عن احد اهم مكونات المنتج السياحي وأعني به المكون الثقافي.

ابان عقد الثمانينيات من القرن الماضي، كانت السياحة قد سجلت تطوراً مهماً نتيجة تدفق الآلاف من السياح الغربيين إلى اليمن وعلى اثر ذلك بدأ التفكير بالمردود الذي توفره سياحة الاوروبيين الى اليمن وتوفرت الحدود الدنيا من البنية التحتية لم تكن صنعة السياحة قد نضجت ومع ذلك قبل السياح الأجانب بالمعادلة السياحية الاستثنائية أعداد من السياح لا تزيد عن مائة ألف تواظب على زيارة اليمن سنوياً بقصد السياحة مقابل بنية تحتية وصناعة سياحية دون المستوى انه المكون الثقافي لاغير هو الذي كان يحفز السائح الأوروبي لزيارة اليمن رغم كل اوجه القصور في صناعة السياحة.

واليوم بعد التراجع في اعداد السياح الاوروبيين يظل المكون الثقافي هو المحفز الأهم لاعادة ثقة السائح العالمي بشكل عام بجدوى السياحة إلى اليمن.

وأحسب أن جهد الاخت اروى عبده عثمان يمثل واحداً من اكثر التحركات ايجابية في هذا المجال وذلك لا يعني انها تضع في الحسبان النتائج التي سيسهم بها بيت الموروث الشعبي في تعظيم البعد الثقافي في السياحة

اليمنية ذلك ان دوافعها تتفوق بكثير عن هذا الاستنتاج، إنها في اعتقادي تحتضن حلماً جميلاً وتعبر عن قناعة وبعد انساني وثقافي راق، ذلك ما يبرره حجم الجهد الذي بذلته في تكوين هذا البيت رغم الصعوبات المادية الكبيرة التي تواجهها.

ما شاهدته في بيت الموروث الشعبي يعكس روحاً مغامرة، لكنها مبدعة وخلاقة ايضاً حيث يأتلف فريق مؤمن بأهمية الحفاظ على الموروث الشعبي، اذكر من بين اعضاء هذا الفريق الكاتب السياسي الرائع الاستاذ عبدالقادر الشيباني إنه وزملاءه يقدمون مساندة رائعة في هذه المرحلة من تأسيس بيت الموروث الشعبي.

لقد اثمرت الفكرة ونجح جهد الأخت اروى عبده عثمان وزملائها واثمرت رحلتها الشاقة في بيئة يمنية صعبة في لملمة اطراف موروثنا الشعبي وتكاد تنجح الآن في ترميم ذاكرتنا التي تسربت منها الكثير من المفردات والصور الجميلة.

مكتبة ومتحف ووحدة لتدوين التراث الشفهي إنها مكونات بيت الموروث الشعبي وهي مكونات بدأت بمحتوى صغير لكنها سرعان ما اتسع محتواها والبيت يعد بالكثير من الانشطة المصاحبة والتي تصب في صلب الأهداف التي قام من أجله هذا البيت.

■ «الثورة» - ٤ يناير ٢٠٠٥م

مهرجان المدرهة الأول والموروث الشعبي

■ أمين السقاف

• يعتبر الموروث الشعبي، لأي أمة من الامم، قوام كيانها الثقافي ويعبر بحق عن هويتها القومية ويشكل عنواناً بارز الدلالة لتميزها عن الآخرين، وفي صنعاء يقام هذا الاسبوع مهرجان المدرهة الأول في الفترة ١٢-١٤ يناير ٢٠٠٥م، هذه الاحتفالية هي بحق زهرة من بستان ثقافتنا الشعبية والتي أُهملت فترة غير قليلة واثرت عليها تراكمات الايام وقسوة السنين فتاهت في اروقة الزمن المحاصر بتشوهات الحاضر وغياب الماضي، والنظرة التشاؤمية للمستقبل.. والمدرهة مفردة جميلة في لهجتنا الدارجة، وهي عبارة عن الاحتفال بقدوم الحجيج من الاراضي المقدسة واستقبالهم من ذويهم واصدقائهم ومعارفهم..

لاشك بأن لكل واحد منا ذكريات غير قليلة مع الموروث الشعبي سواءً في صباه أو شبابه، فهي تدل على حميمية ارتباط الانسان بماضيه وصدق التعلق بجميل عاداتنا وتقاليدنا، سواء في جانب الالعاب الشعبية او الازياء أو الصناعات والحرف اليدوية وغيرها وهي بلا شك لسان حال يعبر عن عراقة واصالة الانسان اليمني على مدى العصور، ومن ليس له ماضٍ ليس له مستقبل.

وقد هيأ الله لهذا الموروث ثلة من مثقفينا الذين أصبح الوطن جزءاً من تفكيرهم والحفاظ على ثقافته أولوية لديهم، فكان بيت الموروث الشعبي الذي اسسته الباحثة والأديبة اروى عبده عثمان بداية الانطلاق لتعريف الآخر بما تحويه ارضنا الطيبة من خيرات يفوح شذاها على الجميع، وفي مناطقنا اليمنية انواع مختلفة من هذا الموروث وعلى سبيل المثال منطقة تهامة وفيها سباق الهجن، واغاني البحارة والذين لديهم اهازيجهم وتقاليدهم والتي هي بحاجة إلى من يجمعها ويدونها لتكون رافداً اساسياً من روافد بيت الموروث الشعبي.

كما يوجد في تهامة أنواع مختلفة من الازياء الشعبية والأدوات الفخارية والأمثلة والقصص والحكايات الجميلة وغيرها، وان كان لنا من عتب هنا، فهو على الجهات الرسمية والتي لازال دورها مغيباً في مثل هذا النوع من الاعمال وان لنا أملاً كبيراً في ان يكون لوزارة الثقافة حضور في هكذا فعاليات، خصوصاً وعلى رأس هذه الوزارة وزير شاب مثقف له حضور كبير في الساحة الثقافية ويشجع مختلف الابداعات ويدفع بها دوماً إلى الأمام.

الشكر والتقدير لكل من ساهم في تأسيس بيت الموروث الشعبي واستعدادنا دائم لتقديم يد المساعدة في سبيل ابراز ثقافتنا الشعبية بصورة طيبة وشكل جميل

■ «الأسبوع» - ١٣ يناير ٢٠٠٥م

كان الطيران بين أذرع «المدرهة» خصوصية يمنية مختلفة، فهو ليس للتسلية، كان تعبير حب، ومساحة لمعالجة أشواقنا لحجيج بيت الله الحرام حتى يعودوا

استعـــادة أراجيـــح الماضـــي

■ تحقيق: محمد الظاهري

● توقفت أراجيح صنعاء أمس -أو هكذا يفترض- عن ممارسة الحب والشوق بعد ان بدأ الحجاج يعودون بسلامة الله تعالى، أو هكذا كان يحدث في الماضي.

كان اليمنيون ينصبون الأراجيح كلما سافر حاج، ويظلون يتأرجحون ويبتهلون إلى الله تعالى أن يعيد حاجهم إليهم سالماً.

ولاتتوقف «المداره» عن الطيران في أفنية المنازل أو ساحات القرى حتى يعود الحاج سالماً معافى، وكان الطقس الصنعاني يبدأ مطلع ذي القعدة، ولا يتوقف قبل انقضاء ذي الحجة.

وقد ساهمت وسائل الاتصال الحديثة في اختصار زمن الأراجيح حتى إنه بات مهدداً بالاندثار، لولا بعض بيوت قليلة في صنعاء القديمة ما زالت تحفظ على هذه الطقوس.

ما تبقى تغير كثيراً عن النسخة الأصلية، حتى إنه لم يبق من تلك الطقوس عند البعض سوى اشرطة كاسيت مسجلة لأناشيد «المدرهة» تسمع في السيارة التي تقل الحاج إلى المطار.

عودة الماضي

مؤخراً عادت هذه الطقوس بردائها في مهرجان نظمه بيت الموروث الشعبي الذي تديره إحدى المهتمات بالموروث الشعبي اليمني أروى عبده عثمان، واشترك معها في التنظيم مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي.

لقد تمت استعادة اراجيح الماضي، وكانت الفعالية عودة مؤثرة إلى أجزاء جميلة منّا، وكشفت فعاليات المهرجان عن الكثير من تفاصيل المعلومات التي لم تعد عند كثيرين ويجهلها معظم الحاضر.

في واحدة من لفتات المهرجان إشارة إلى الجزء الأول من كتاب «السلوك»يكسر مؤلفه «البهاء الكندي» الخصوصية الصنعانية للمدرهة، فقد تحدث عن حج «الملك السلطان المظفر الرسولي علي بن عمر» عام ٦٥٩هـ، وقيام والي عدن «الجزري» بنصب أرجوحة، وقيام «غالب أعيان عدن» بنفس الشيء.

ويقول الكندي عن المدرهة إنها «شيء يعتاد أهل اليمن عمله لمن حج أول حجة، وعند نصبها إذا كانت لرجل ذي رئاسة قام الشعراء بأشعار يمدحون من اقامها ومن اقيمت من أجله».

لكن الخصوصية الصنعانية تبقى طاغية، فحين تلاشت، «المدرهة» ظلت البقية الباقية منها في صنعاء، الاشعار المتبقية والخاصة بها تحمل نفس ورائحة الشعر الحميني الصنعاني، الذي جمعه رئيس جمعية المنشدين اليمنيين علي بن محسن الأكوع.

يقول الاكوع في حاشية كتابه إن المدرهة «من العادات الاجتماعية القديمة التي كادت تنتهي إلاَّ في بعض المناطق في صنعاء وما حولها».

على قيد الحياة

اليوم بيوت قليلة في صنعاء مازالت تحافظ على إقامة أراجيحها وكانت «الثورة» قبل عامين قد تأرجحت في أحد هذه البيوت، ويومها اخبرتها الحاجة «أم علي» (٨٧ عاماً) ان الأرجوحة زرعت في فناء منزلها قبل (١٥) عاماً حين حجت إلى بيت الله الحرام.

وقالت: «كان المسافر يسير راجلاً إلى بيت الله، ولا احد يدري هل يرجع أو لا يرجع»، وهي لاتتحدث عن فترة قبل (١٥) عاماً حين حجت، ولكن تتحدث عن البداية التي ظهر فيها هذا التقليد، وهي بداية لا تعرفها.

تعليق الأراجيح اليوم يقتصر على أيام معدودة، فالحاج -مثلاً- لم يعد يقضي الأسابيع في رحلة الذهاب والإياب من وإلى اليمن «البيت العتيق».

وبما أن السفر اليوم تخلى عن الكثير من مخاطره في الماضي، فإن الأراجيح تخلت -أيضاً- عن جزء من لوعتها، وحسب أحمد غنيمة -(٣٨ عاماً)، وهو من أحد البيوت الصنعانية التي ما زالت تحافظ على هذه الطقوس: «نعملها لأننا نفرح بدعاء الحاج لنا حين يعود».

وفي مهرجان المدرهة الأول تذكرت الدكتورة رؤوفة حسن في ورقة عمل قدمتها، أن خالتها كانت تؤرجحها في بيتهم في صنعاء وتنشد أناشيد «المدرهة» حين تحيط بها أحزان ذكرى طفليها اللذين ماتا صغيرين.

يوم السفر

كانت المدرهة طقساً روحانياً خاصاً ارتبط في الغالب بالخوف على الأحبة، ومكاناً للبوح بالأحزان وكأنها رغبة في القذف بها بعيداً مع طيران الأرجوحة.

وتتقمص أناشيد «المدرهة» هذه الأحزان واللوعة في أبيات نظمت على بحر «مجزوء الرجز» في نداءات كثيرة:

«أو.. يامقهوي في «منى» قم قهوي الحجّاج

قم قهوي الحجاج جميع قاصي وداني

ولقِّم الدلة عسل وبخِّر الصياني (الفناجيل)

هنيت للحجاج جميع حين عيدهم في مكة

حين عيدهم وسط الحرم وشاربين من زمزم

•••

قد جيت أدَره وأعتني لا.. من بلاد بعيدة

لا.. من بلاد خلف الجبال يا ليتها قريبة

قد جيت أدَره ومعتنيك في حنجك (محبتك) يا الغالي

في حنجك يا حجنا ياطلعة الهلالي».

مشاهد القلب

وفي وصف الحاج وذكر صفاته يأتي في نشيد المدرهة:

«ويا.. لمن ذا المدرهة ويا لمن ذا الدَاره (المتأرجح)

لا.. هي لدولة أو لمن لا.. أو لحاكم حكام

لا.. أو لقاري في الكتب لا.. أو لخط الأقلام

لا.. فيك ياسيد الرجال ويا كحيل الأعيان

لا.. فيك يا نُقس النبات ويا دوا للأسقام

لا فيك يا ظبي الخلا يا أبو الغريب لاجَا».

ومثل قصائد «الحمينيات» الصنعانية تبدأ هذه الأناشيد بذكر الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم، قبل أن تبدأ في التعبير عن اللوعة على الحاج والدعاء له بالعودة سالماً:

«بسم الله ابدع ياكريم ياغوث يارحمان

واثني بقولي بالنبي ذي حقق الإسلام

واثلث بقولي في علي ذي حطم الكفار».

وليس هناك صيغة ثابتة للنشيد، فهو يختلف من مكان إلى آخر ومن حاج إلى غيره، تارة يسأل حمامة مكة عن حال حاجة، وهو يعطيها أوصافه بهيام، وتارة يصف لحظات الوداع أو يناجي الحاج نفسه:

«يا حجنّا يا حجنّا.. أين قدر وأين عادك

قال عادنا وسط الحرم وملتوي لزمزم

لو تبسرونا يا أهلنا يوم الوقوف ما أرحمنا

مخلَسين بأجسامنا وربنا ينظرنا».

ومن الطقوس المرافقة لإقامة الأراجيح إلباسها وتزيينها بملابس الحاج نفسه، فإن كان رجلاً ألبست الأرجوحة ثيابه وسلاحه، وإن كانت امرأة ألبست أجمل ملابسها وفستان زفافها.

وفي ورقة عمل قدمتها اروى عبده عثمان فإن المدرهة التي كانت تنصب في فناء بيت الحاج أو أحد جيرانه أو في ساحة القرية، كانت تصنع من الاشجار القوية ويتم توثيق اعمدتها بحبال قوية ومتينة.

ويتحرى الأهل أهمية توثيق ومتانة حبال الأرجوحة لتجنب فأل سيئ يحمله انقطاعها -حسب اعتقاد الناس- وفي جزء من نشيد «المدرهة» يشار إلى ذلك:

«يا مدرهة سيري سوا لاترخي الحبال

لا ترخي الحبال السلب فوقك ثقيل غالي»

وكانت فترة مابعد العصر حتى اذان المغرب مخصصة للنساء، فيما يأتي دور الرجال للتأرجح في المساء.

وفي «مسرح الهواء الطلق» في صنعاء القديمة، حيث أقيم مهرجان المدرهة، حدث ذلك مجدداً، وتحول المكان إلى منتزه فريد زاره المئات من القاطنين في صنعاء، وعودة إلى أشيائنا الجميلة، حتى إن عدداً من الأراجيح التي ضمرت في أفنية منازل صنعاء القديمة استعادت حياتها، أو على الأقل تذكر الجميع أراجيحهم القديمة، كما فعلت الدكتورة رؤوفة حسن في ورقة العمل التي قدمتها.

وكان أكثر شيء جمالاً الحماس الذي بعثته الفعاليات في النساء الكبيرات وذوي اللحاء البيضاء من الرجال لينطلقوا في ترديد الأناشيد كما كانوا يفعلون مع آبائهم في الماضي، وقد غنوا بعذوبة وأصوات شجية لاتسمح لك بفعل شيء غير الاستماع والغوص عميقاً جداً في أعماق أعماقك والرجاء بألا يتوقفوا.

آخر الاناشيد

حين يملأ الشوق إلى الحجيج أرجاء كل شيء ويحاصره حنين إلى اللقاء، تبدأ أذرع الأراجيح بالبحث عن بشرى في كل مكان، وتطير مع ذهابها وإيابها، هبوطها وصعودها، الأفئدة، ويأتي آخر أناشيدها ينشد البشرى في آخر أيام التدرّه:

«يا مبشر بالحجيج بشارتك بشارة

بشارتك بير العزب وتلحقه شراره

بشارتك قصر السلاح وتتبع الوزارة

بشارتك حلقة يدي وسلسلة صدري

يا من يبشرني بهم بشارته في الجنة».

■ «الثورة» ٢٤ يناير ٢٠٠٥م

أروى عبده عثمان رئيسة بيت الموروث الشعبي في لقاء مع «الثورة»:

الموروث الشعبي تطاله أيادي العبث والإهمال

التراث الشعبي جزءٌ من الهوية الثقافية للمجتمع

التراث الشعبي والثقافي جزء من تكوين المجتمع وعاداته وتقاليده في أي بلد، واليمن تتمتع بتراث ثقافي وموروث شعبي على مر العصور كواحدة من أهم بلدان الحضارة في العالم.. هذا الموروث الشعبي المتأصل والذي يمتاز بتنوعه الثقافي ظلت تتناقله الأجيال وتتغنى به جيلا بعد آخر.. لكنه اليوم يتعرض للإهمال والنسيان، وهو في طريقه للاندثار بفعل تأثيرات الحياة العصرية التي طغت على كل شيء باستثناءات تكاد تكون نادرة بالذين يسعون للحفاظ على هذا التراث وممارسة طقوسه.

الأخت أروى عبده عثمان المعروفة بحبها وولعها بالموروث الشعبي والروايات والحكايات الشعبية تخوض تجربة شخصية في هذا المضمار كجانب من مشاركة المجتمع المدني في جهود الحفاظ على الموروث الشعبي باعتباره جزءاً من تاريخ وحضارة الإنسان اليمني على مر العصور.. ولم يقتصر دورها عند هذا الجانب بل إنها حولت منزلها إلى بيت للموروث الشعبي قبل أن تسعى لتأسيس بيت خاص بهذا الموروث.

««الثورة» التقتها في بيت الموروث الشعبي وأجرت معها هذا اللقاء:

■ لقاء: افتكار القاضي

● كيف جاءت فكرة تأسيس بيت الموروث الشعبي؟

- فكرة تأسيس بيت الموروث الشعبي كان حلماً سبقته تراكمات كثيرة جداً منها الاستياء العام والاستياء الشخصي بدرجة كبيرة لأنني كنت أحب هذا الموروث ومستاءة من الإهمال الذي يتعرض له، وعدم الاهتمام به من قبل الجهات المختصة بالإضافة إلى الإهمال الشعبي نفسه، فالناس لم يعودوا يهتمون بموروثهم ويحافظون عليه، مع أنهم يمارسون الكثير من طقوسه، حيث طغت الحداثة على كل شيء، وأصبح الاعتقاد السائد أن الأشياء القديمة مهما كان جمالها لم يعد لها قيمة في عالم اليوم.

وآسف لأن الناس لم يفهموا الحداثة بمعناها الحقيقي والمنظم، وأن هناك عشوائية، وخلطاً دون وجود أي تجانس منطقي لهذا المفهوم، فهم يعيشون في عالم آخر من خلال لبسهم وأكلهم وشربهم ومسكنهم وممارستهم للحياة بشكل خليط فلا هو بالحديث ولا بالتقليدي.. كل ذلك أفرز نوعاً من التفكير والثقافة السائدة في المجتمع مثل المباني التي أبدع في تشكيلاتها وصياغتها الآباء والأجداد، ليأتي

الأبناء يهدمون ذلك الجمال الناطق في محتواه وتشكيله الفني البديع، ويشيدون بدلا منه مباني جديدة بالخرسانة المسلحة الصماء، فهناك مبانٍ مضى عليها أكثر من خمسمائة سنة يتم تدميرها والاستعاضة عنها بمبانٍ حديثة، ولم يقتصر ذلك على البيوت فحسب بل وصل الأمر إلى المساجد والحصون والقلاع القديمة التي كان كل شيء فيها ناطقاً، وهذا كان يؤلمني كثيرا.

بدايات الاهتمام

● ما هو سر عشقك للتراث الشعبي؟

- أنا ابنة بيئة شعبية ومن أسرة فلاحة عاشت في مدينة تعز في حارة يطلق عليها (سوق الصميل)، وكان النساء يأتين إلى هذا السوق من كل مكان لغرض الاسترزاق من خلال بيع ما صنعنه في بيوتهن وكن يرتدين الملابس التقليدية كل حسب عاداته وتقاليده، وكان هذا السوق يمثل كرنفالاً جمالياً غاية في الروعة، وكنت حينها لا أزال صغيرة، لكنني أحتفظ بأشياء كثيرة في الذاكرة. كما كانت تأتي فرق شعبية لإلقاء الأناشيد وقصائد المديح والموالد النبوية (رجال ونساء).. النساء يرقص رقصات شعبية جميلة وعليهن تلك الملابس المطرزة الناطقة بالحياة، والرجال (يزمرون ويرقصون ويدقون الطبول)، لكن بعد ذلك بدأت تختفي الكثير من هذه المعالم، كما بدأت معالم السوق تتغير، وكانت جدتي حينها مخزناً هائلاً من الحكايات والروايات الشعبية، بل إنها كانت موسوعة ابداعية متنوعة تسرد عليّ الحكايات والأساطير الشعبية.. لكنها ماتت دون أن يكتمل النص لدي، فأحسست أنني فقدت أشياء كثيرة، وشعرت أن جزءاً من تاريخي وثقافتي مات كما ماتت الكثير من القيم النبيلة.

خيبة أمل

ومن هنا بدأت أكرس كل اهتمامي بالموروث الشعبي، وأذكر أن والدي كان يعطيني خمسين ريالا كمصروف للمدرسة وكنت اشتري بجزء منه اشياء تراثية كالفضة والملابس وغيرها وأجمعها في غرفتي الخاصة وكنت أتزين بها في المناسبات، حتى أصبح ذلك جزءاً من شخصيتي.

مرت السنوات وبدأت الاهتمام بجدية بالتراث الشعبي بمنطوق كتابي في الصحف والمجلات تحت أعمدة ثابتة أهمها «شعبيات» وكنت أنهل وأستلهم حكايات جدتي التي لم أكن أكترث بها، ثم بدأت بالنزول الميداني والتنقل بين المناطق والقرى البعيدة في المحافظات وألتقي بشيوخ ونساء عجائز ليرووا لي عادات وتقاليد آبائهم وأجدادهم وكنت أنشرها في الصحف..

بعدها جاءت فكرة إعداد برنامج تلفزيوني عن الموروث الشعبي وتم اختياري لإعداد هذا البرنامج، وسافرت مع طاقم العمل إلى عدد من المحافظات للبدء بعملية التصوير، وبدلا من أن أتفرغ لإعداد البرنامج كنت أذهب لاستكمال معاملة المستلزمات المتعلقة بطاقم العمل وببدل السفر وغيرها من متطلبات العمل، وكان الوقت وخصوصا المرتبط بطقس معين يستدعي تواجدنا فيه للتصوير يمر دون أن نبدأ بالتصوير بسبب روتين المعاملة القاتل، فأحسست بخيبة أمل كبيرة وصدمت كثيرا،

وكل ما كنت قد أعددته ذهب أدراج الرياح ولم يتم إذاعة أية حلقة منه كوني معدة البرامج، ويوجد أكثر من تسعين شريطاً (خام) في مكتبة التلفزيون مهملا ومرميا بين الأتربة والغبار، البعض منها قد انتهى بسبب سوء الحفظ والتخزين.

كنت منذ سن التكوين قد اتجهت لجمع المؤلفات والكتب التي لها علاقة بالموروث الشعبي، بالإضافة إلى الصحف التي كانت تهتم بهذا الجانب، وكونت لي مكتبة في بيتي كنت أنهل منها عند الكتابة، لكنني كنت بحاجة إلى التطبيق العملي لما كنت أقرأه، ولم يقتصر اهتمامي بالموروث على جمع الكتب فقط بل وكل ما له علاقة بالموروث الشعبي الشفاهي، بل والمادي منه منذ أكثر من خمسة عشر عاماً.

حبي للتراث وعشقي له جلعني أبيع قطعة الأرض الخاصة بي وأصرف عائدها على جمع التراث، كما أنني أنفقت ثمن الجائزة التي حصلت عليها من مجموعتي القصصية «تنكا بلاد النامس» الحائزة على المركز الأول للابداع العربي - الشارقة لصالح بيت الموروث الشعبي.

جمع وتدوين

● على ماذا كنت تركزين أثناء سفرك إلى المدن والمناطق اليمنية؟

- كنت أركز بشكل رئيسي على توثيق عادات الزواج والرقصات الشعبية والختان والملابس وبناء العشش وأغاني الطحين والمهاجل النسائية أثناء الحصاد، وأسجل مدى الاختلاف والتشابه في هذه العادات من منطقة لأخرى، وكنت أقضي أشهرا بعيداً عن أهلي لجمع وتدوين هذا التراث الشعبي، وكنت أعاني وأتعب كثيرا لدرجة أنني كنت أنام بين الزواحف المختلفة، بالإضافة إلى (الكتان والقمل)، حتى الأكل كنت آكله أحيانا مختلطا بالحشرات وأشرب الماء الملوث مضطرة لذلك حتى أحصل على المعلومات التي أريدها.

أهداف طموحة

● أنشأت بيتا للموروث الشعبي.. فما هي أهداف واستراتيجية هذا البيت؟

- بادرت إلى إنشاء بيت للموروث الشعبي، يجمع بين المتحفي والبحثي في آن، جمعت فيه كل الأشياء التي بدأت تندثر ووثقتها، ويهدف البيت للحفاظ على الهوية الوطنية المتجسدة في الموروث الشعبي باعتباره مخزوننا وذاكرة لتجارب الشعوب، بالإضافة إلى حماية هذا التراث من الاندثار والنسيان والعبث والتشوهات التي تطاله بشكل مستمر، كما يهدف البيت إلى ايجاد قاعدة معلوماتية وتصنيفية علمية لمكونات الموروث الشعبي، وجعلها في متناول الباحثين والمهتمين، بالإضافة إلى استخراج الإمكانات الكامنة في الموروث الشعبي وسبل الاستفادة منها في إثراء المسار التنموي للبلاد ورفع مستوى الوعي الشعبي بأهمية هذا الموروث، من خلال اعداد الكوادر القادرة على التعامل مع قضاياه واشكالياته. ويعتبر البيت مكاناً ثقافياً مفتوحاً على الآخر من خلال مقهى شعبي يجمع خليطاً من المثقفين يوماً في الأسبوع لغرض الحوار

والنقاش في كل ما هو هادف ومفيد.

● ما هي مكونات ومحتويات بيت الموروث الشعبي؟

- يتكون بيت الموروث الشعبي من مكتبة فلكلورية كنواة لمكتبة كبيرة مستقبلاً، وكذا إدارة فنية لتحريك مشاريع البيت، ووحدة للجمع والتدوين والتوثيق. بالإضافة إلى المتحف الصغير.

التراث الشفهي

● لماذا تركزين على جمع التراث الشفهي بشكل رئيسي؟

- التراث الشفهي أكثر سرعة في الانقراض من التراث المادي لأن الأقوال والتعابير تموت بموت صاحبها، وحالياً أركز على التراث الشفهي لهذا السبب، حيث أقوم بتدوين كل الحكايات والروايات والأساطير والقصص والتقاليد والنكت والأغاني وغيرها.

وهذا العام سأقوم بإصدار كتاب عن الحكايات الشعبية متضمنا سبعين حكاية متنوعة جمعتها منذ عشر سنوات، وأعمل على إصدار مجلة اسمها «ذاكرة الآتي» متخصصة بهذا الجانب.

المرأة

● أيهما أكثر محافظة على التراث الشعبي المرأة أم الرجل؟

- المرأة أكثر محافظة على التراث من الرجل لأنها ليست مغتربة بعكس الرجل الذي ينسيه الاغتراب والهجرة الكثير من عاداته وتقاليده. أما المرأة فتظل مخزوناً للموروث الشعبي والثقافي وهي المحركة له، يليها الفئات المهمشة في المجتمع (الأخدام) والتي لا زالت محافظة على موروثها الشعبي وتمارس طقوسه بشكل مستمر.

وأشير هنا إلى أن الأجانب مهتمون بتراثنا أكثر منا.

المدرهة

● أقمتم مؤخرا مهرجان (المدرهة).. ما أصل ومضمون هذا المهرجان وعلاقته بالموروث الشعبي؟

- مهرجان المدرهة هو عبارة عن أرجوحة وكانت تقام ضمن التقاليد الشعبية في اليمن وكان يقام قديما أثناء توديع واستقبال الحجيج الذين يذهبون لأداء مناسك الحج حيث كانت الرحلة تستغرق أشهرا، فيقوم أهل الحاج بعمل المدرهة لتوديعه واستقباله، ويتم خلالها التغني وممارسة الكثير من الطقوس الشعبية (ابتهالات - تغاريد - اهازيج) وكلها تحمل اللوعة والشجن لفراق الحاج كما تحمل الفرح والسرور لعودته، ويستمر عمل المدرهة منذ تهيئة الحاج للسفر وحتى عودته، وقد انقرضت هذه العادة منذ زمن، وأردت بعمل هذا المهرجان إحياء هذه العادة الشعبية كجزء من التراث الشعبي.

● بماذا تطمحين مستقبلاً؟

- أطمح أن يكون هناك نوع من الاهتمام بهذا الموروث الأصيل من قبل الدولة والحفاظ عليه، وأتمنى أن يطور هذا البيت ليصبح مؤسسة تراثية كبيرة في المستقبل.

■ «الثورة» - ٢٨ يناير ٢٠٠٥م

تودع حجاجها بترانيم نسائها وصغارها

ذاكرة الآتي تحيي مداره صنعاء على الهواء الطلق

■ **كتب: فارس غانم**

● بدأت في صنعاء فعاليات مهرجان المدرهة الأول الذي أحياه بيت الموروث الشعبي بالتعاون مع مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي في إطار تدشين البيت لأول فعالياته منذ افتتاحه في إبريل الماضي بمهرجان المدرهة كتقليد ثقافي وديني يواجه الاندثار بعد ان كان جزءاً من تقاليد اليمنيين الذين طالما كانوا يحيونه في هذه الايام القريبة من موسم الحج وسفر الحجيج.

مهرجان المدرهة يكاد يكون برأي رئيسة بيت الموروث الباحثة اروى عبده عثمان تظاهرة لإحياء تقاليد المدرهة وجمايتها قبل احياء اعمدة خشب المدرهة فقط بل احياء نفوس جفت منابع الحياة فرحها الجميل.. إنعاشاً لذاكرتنا الشعبية تمثل للحظة فرح وشجن لآبائنا وامهاتنا الذين يكتبون خباياهم وحكاياتهم وعذاباتهم وأحلامهم الجمة على أعمدة المداره التي عايشتها الثقافية منذ لحظاتها الاولى وتسليط الضوء عليها من خلال المدير التنفيذي للمهرجان عبدالقادر الشيباني خاصة بعد اثارة بعض وسائل الإعلام المحلية اللبس حول من تبنى الفكرة من عدمها:

● جاء مهرجان المدرهة بعد إعلان العام ٢٠٠٥ عاماً للسياحة اليمنية.. فهل دشن بيت الموروث العام وما مدى تعاون الجهات الرسمية معكم؟

- المهرجان هو مبادرة أتت من بيت الموروث الشعبي ودعم من مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي علماً بأن هذه الفكرة بادرت بها الكاتبة اروى عبده عثمان منذ عام ١٩٩٧م، وتحقق إقامة المهرجان في ٢٠٠٥م تزامناً مع عام السياحة في اليمن. المبادرة حتى الآن من الجهات الرسمية لم تأتِ بعد ما عدا السماح لنا بإقامة المهرجان بكل طقوسه ووسائله في مسرح الهواء الطلق بصنعاء القديمة من ١٢-١٤ يناير وقد ارسلنا دعوات إلى كل المؤسسات والجهات الرسمية بشكل عام وكذلك السلك الدبلوماسي متمنين ان يشهد المهرجان حضوراً مقبولاً.

● أثارت بعض الصحف تساؤلات حول تبني الفكرة من عدمها خاصة بعد حديث أحد رجال الأعمال عن ذلك؟

- اولاً بيت الموروث مؤسسة غير حكومية

مصرح بها رسمياً وهدفها تجميع التحف والحرف القديمة والأزياء الشعبية لكل المحافظات فمن يطلع على بيت الموروث حتى الآن يجد نماذج قديمة والآن هناك فكرة أن يشمل البيت كل الصناعات الحرفية والأزياء الشعبية من مختلف محافظات الجمهورية وهناك تجارب مع هذا الأمر. أما عما اثير فنحن كل ما سمعناه أن هناك رجل أعمال ادعى أنه سيقيم مداره فقط كتقاليد للحجيج وجاء هذا بعد أن قرر بيت الموروث الشعبي المبادرة لإحياء هذه التظاهرة السياحية ليس فقط لهذا العام ولكن ايضاً كتوثيق تاريخ وضمن اطار فعاليات ومهمات البيت ولم يكن هناك بيننا وبينه أي اتصال حيث نرحب بمساهمات القطاع الخاص في نشاطاتنا دون تجيير لمصالح شخصية أو تجارية.

● ماذا سيتضمن المهرجان؟

- نحن الآن نسير في إطار المهرجان وهو يحتوي على معارض للصور ومعرض آخر للمطبخ الصنعاني الذي يحوي كل الوجبات إضافة إلى القاء محاضرات حول التقاليد الشعبية لهذه التظاهرة القديمة للمداره وما فيها من ترنمات وأغاريد.

● ولماذا بدأتم فعالياتكم «بالمدرهة»؟

- لأنها مع موسم الحجيج ويجانبها طقوس تخص السياحة الرياضية الروحية إلى جانب إحياء التقاليد التي كادت أن تنقرض وهناك مبادرات قريبة ستنتقل إلى محافظات أخرى والمرجح أن تكون المحويت أولاً وهناك تظاهرة أخرى لمهرجان جمل المعصرة وجمل المعصرة يستوقف أفواج السائحين ليلتقطوا عشرات الصور كما انه لدينا اهتمام بالخصوصيات الفولكلورية لكل المحافظات.

المدرهة في التاريخ

تعريف موروث قديم برأي علي صالح الجمرة عرفها الإمام الموسوعي نشوان بن سعيد الحميري في الجزء الرابع من موسوعته الشهيرة «شمس العلوم» ص(٢٠٦٩) المدرُه بأنه لسان القوم والمتكلم عنهم. ومن هنا ندرك ان اسم المدرهة متقدمين «المدره» وأن التسمية «المدرهة» تسمية عربية فصحى إذ أن من يطلع عليها لابد وأن ينشد «بصوت عال» الأناشيد الحافلة بالشوق للحبيب الغائب وأن يشعر بالقلق النفسي وبالخوف من المجهول.

وهي قديمة إذ ذكرها الكندي سنة ٦٥٩هـ في كتابه «السلوك» الجزء الأول ص (٥١٠) وهي السنة التي خرج المظفر «الملك السلطان المظفر الرسولي علي بن عمر» وعامله الجزري «وكان متولياً عدن»، مدرهة كما عمل غالب أعيان عدن، شيء يعتاد أهل اليمن عمله لمن حج أول حجة، وعند نصبها إذا كانت لرجل ذي رئاسة قام الشعراء بأشعار يمدحون من عملها ومن عملت له وكذلك الراوي ذكرها في كتاب «تاريخ صنعاء» تحقيق د. حسين عبدالله العمري ص(١٦٥) وقال إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استدعى عامل اليمن بعلي بن امية لانصاف من شكاه وامره أن يأتيه من صنعاء ماشياً. فلما سار ميلاً إذ لقيه بريد بموت عمر واستخلاف عثمان وإثباته على

عمله فرجع. فيقال أنه استقبله أهل اللهو واللعب ودخل صنعاء فرحاً مسروراً وذكر أن نساءه احجره في منزله ودوره.

ولذلك يؤكد الجمرة شائعة نصب المدرهة في صنعاء وخاصة في موسم الحج.

- تؤكد الباحثة في التراث الشعبي اليمني أروى عبده عثمان أن «تغاريد المدرهة» هي من تقاليد الحج في اليمن وبالذات في المناطق الشمالية كمدينة صنعاء حيث يعد تنصيب المدرهة أو ما يسمى في مناطق أخرى من اليمن باسم «التدورة» أهم معلم مرتبط بالحجيج، حيث يقوم الأهل والجيران بتنصيبها في ساحة كبيرة جوار منزل الحاج (الحوش) أو أحد الجيران وأحياناً يتم تنصيبها في ساحات القرية أو مكان تجمع الناس كالميدان أو ما يسمى بـ«العقمة». وتصنع المدرهة من اشجار قوية «كالطلح» أو «الأثل» و«الطوالق» ويتم توثيقها بحبال قوية تسمى حبال «السلب» وأحياناً تصنع هذه الحبال من الجلد ويتحرى الأهل أهمية توثيق أعمدتها خشية انقطاعها، لأن ذلك بإعتقادهم ينذر بالتشاؤم:

«يا مدرهة سيري سوا
لا ترخي الحبال
لا ترخي الحبال السلب
فوقك ثقيلة غالي».

والتدره يبدأ بين الأهل أولاً.. كالابنة عندما «تدره» لأمها فتقول:

«جيت أدره لأمي الضنينة».

أو الزوجة عندما تدره لزوجها وتقول:

«جيت أدره واعتني لك يا غالي».

وغيرها من المحطات التي تبدأ من استعداد الحاج للسفر إلى نصب المدرهة ثم انتظار عودة الحاج من مكة.. وكل هذه المحطات عبر عنها الوجدان الشعبي بجملة من التغاريد أو الأغاني التي تحمل في طياتها شحنات انفعالية وعاطفية قوية يختلط فيه الحزن بالترقب والتوجس والقلق النفسي وغيرها من الشحنات العاطفية التي يسكبها الوجدان الجمعي على «المداره»:

«يا محمد ياعلي
تسير السواعي
يسير البحر المحيط
لمشية الحجاج».

وغيرها من الأغاريد التي تقال للحاج وهو مايزال في داره منتظراً وسيلة المواصلات:

«لو تبسرونا يا أهلنا حين طرق
الباص في الباب
حسيت قلبي رجف ودمعتي سيالة».

ومغرد آخر حين يسمع إشارة الباص ويعود منها إلى أهل بيته قبل المغادرة ليوصي زوجته بأولاده:

«لو تبسروا حين رجع من الباب
رجع يقول في ذمتش جهالي
في ذمتش عول الكبد
عادوا زغير غاوي».

وترى عثمان أن الوجدان الجمعي للإنسان اليمني عندما يبدع الأشكال التعبيرية مادية كانت أم روحية، يبدؤها بالبسملة:

«بدعت بيش يالفاتحة
ياخيرة الأسامي
ياخيرة الله والنبي
ولاحضر شيطان».

لننتقل إلى مقاطع تغريدية تتحدث عن صفات الحاج وخاصة الخارجية (لحيته، عصاته، قميصه، إزرته، لون بشرته أو جسمه):

«يا حمامة «عرفة»
حومي.. وحومي
واعرفي لنا حجنا
هو طويل خضراني
واعرفي لنا إزرته
هي كلها بيضاني
واعرفي لنا عصيته
هي شوحط أو رماني».

ومثلما تحدثت هذه التغاريد عن اوصافه الخارجية ذكرت ايضاً صفاته الروحية الداخلية فتقول:

«يا حجنا شيبه رضي
يطلب الرضوان
يطلب الله والنبي
واحمد العلوان».

وهناك مغارد تصف الحجيج في مكة.. عبر تساؤل يطرحه أهل الحاج:

«ويا حاج أين قدك
وأين عادك».

فيجيب الحاج:

«عادني وسط الحرم ملتوي لزمزم».

وغيرها من التمنيات التي تكتب على المدرهة برجوع الحاج سالماً وسالياً:

«وحجنا قد سار يحج
الله يرجعه سالي
يرجعه للأهل والأصحاب وجملة الجيران».

وجملة من التغاريد يحييها اليوم بيت الموروث الشعبي في مهرجان ذاكرة الآتي.

■ «الثقافية» ١٣ يناير ٢٠٠٥م

في أول مهرجان بصنعاء القديمة..

«المدرهة» بين الشجى والشجن

أروى عثمان: نحاول إحياء تقاليد الحجيج وإشراك الإعلام في التعريف بموروثنا الشعبي

■ محمد الجرادي

● في فعالية ثقافية شعبية هي الأولى من نوعها يبدأ المهرجان الأول «للمدرهة» بصنعاء بعد غد الاربعاء ويستمر ثلاثة أيام على ساحة مسرح الهواء الطلق بصنعاء القديمة.

ويأتي المهرجان بتنظيم من بيت الموروث الشعبي وبدعم من مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي.

وذكرت الاستاذة اروى عبده عثمان رئيسة بيت الموروث الشعبي في تصريحات صحافية ان الهدف من المهرجان لا ينحصر في التوثيق فقط، وإنما إبراز التنوع والثراء للاحتفالية الثقافية المصاحبة لـ«المدرهة» والتعرف على تقاليد الحجيج في اليمن خصوصاً مدينة صنعاء بالاضافة إلى إحياء تقاليد المدرهة والمغارد المتنوعة، بعد ان انقرضت في كثير من مناطق اليمن، وتحفيز الرأي العام المحلي والخارجي على الاهتمام بالموروث الشعبي في اليمن والكشف عن وجه من اوجه الابداع الانساني الشعبي من خلال الغناء والانشاد أثناء التدره، ومحاولة نشر الموروث الشعبي اليمني عبر وسائل الاعلام المختلفة ليتعرف الداخل على وجه الخصوص على أهم وأبرز ملامح السياحة الثقافية في بلادنا.

وتشير عثمان إلى أن المهرجان سيكون تقليداً سنوياً لاحياء تقاليد المداره والحجيج، وأوضحت انه تم تنصيب المداره في المسرح المفتوح حسب الطريقة التقليدية وطقوس صنعاء.. وستنظم مراسيم الاحتفال الخاصة باستقبال الحجاج العائدين يصاحبها انشاد ديني وستكون المغارد مشتركة بين الرجال

والنساء والاطفال في البدء.

هذا إلى جانب ثلاثة معارض هي معرض صورة الحياة التقليدية لصنعاء القديمة، ومعرض للأزياء الملازمة للطقس علاوة على معرض الاطباق الشعبية التي تحتوي على مواد الطبخ الصنعاني المتنوعة، إلى جانب تنفيذ محاضرات عدة تتناول «المدرهة» من نواحٍ اجتماعية وثقافية منها محاضرة بعنوان «انطباعات حول تقاليد المدرهة» تقدمها الدكتورة رؤوفة حسن، والاستاذ احمد محمد الذهباني واخرى بعنوان «المدرهة بين الشجى والشجن» يقدمها الاستاذ علي صالح الجمرة، ومحاضرة «المدرهة في الذاكرة الشعبية» للأخ يحيى محمد المحفدي والاخت حميدة عبدالله الحبابي..

ولفتت رئيسة بيت الموروث الشعبي إلى أن المهرجان سيوفر إلى جانب المعارض الخاصة بالحياة اليومية والازياء والوجبات الشعبية للحاج/ الحاجة.. التعرف على استعدادات الحاج/ الحاجة وحالته النفسية وذكرياته واهمية هذا الطقس الجميل المقترن بالمدرهة في الذاكرة الجمعية لابناء المدينة، وخلفيته الاجتماعية والثقافية، والتعرف ايضاً على عادات وتقاليد الحجيج اليمنية.

■ «الميثاق» - ١٠ يناير ٢٠٠٥م

تحت شعار «لذاكرة الآتي»..

مهرجان المدرهة الأول.. ظاهرة احتفائية للتعريف بتقاليد الحجيج في اليمن

■ تغطية: بشرى العامري

● بالتعاون مع مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي وتحت شعار «لذاكرة الآتي» نظم بيت الموروث الشعبي فعالياته المعلنة عن حضوره ككيان ثقافي عامل ومتفاعل في الساحة الثقافية وذلك من خلال مهرجان المدرهة ٢-٤ ذي الحجة ١٢-١٤ يناير الجاري.

والذي يعد اول مهرجان لاحتفالية ثقافية للتعريف بتقاليد الحجيج في اليمن من خلال إحياء تقاليد المدرهة وتغاريدها التي تؤدى خلل فترة الحج وترافق الحجاج ويهدف المهرجان -الذي سيكون بمثابة تقليد سنوي يشمل مناطق اليمن ليعكس تنوعها الثقافي والفلكلوري- الى التعرف على تقاليد الحجيج واحياءتقاليد المدرهة والمغارد المتنوعة بعد ان أوشكت على الانقراض في معظم مناطق اليمن كما يهدف المهرجان إلى الكشف عن وجه من أوجه الابداع الانساني من خلال الانشاد، وتوثيق تقاليد الحجيج سمعياً وبصرياً لتكون وهجاً للدارسين والمهتمين..

انطلقت فعاليات المهرجان من قاعة مسرح الهواء الطلق بصنعاء على مدى ثلاثة أيام القى في حفل الافتتاح الأخ/ حسين العواضي وزير الاعلام كلمة نيابة عن الأستاذ/ عبدالقادر باجمال رئيس مجلس الوزراء اكد فيها على أن الدولة ممثلة بفخامة الأخ رئيس الجمهورية تولي مثل هذه الجوانب الانسانية الابداعية اهمية كبيرة واضاف الأخ الوزير ان هذا المهرجان يحمل معان ودلالات عظيمة كونه يجسد -روحياً- واحدة من المناسبات الدينية العظيمة ويؤكد الترابط الأسري الحميم بين ابناء هذا الوطن، كما القت الاستاذة اروى عبده عثمان كلمة رحبت فيها بالحضور وتحدثت قائلة: يعد مهرجان المدرهة الأول فاتحة العمل للبيت المتواضع بالتعاون مع مؤسسة حماية الآثار والتراث هذا التقليد الموثق لأشعار وتقاليد المدرهة في صنعاء القديمة، صار مهرجاناً ثقافياً ولايهدف فقط

إحياء تقاليد المدرهة، وحمايتها قبل احياء اعمدة خشب المدرهة فقط بل إحياء نفوس جفت فيها منابع الحياة الطبيعية وفرحها الجميل انعاش لذاكرتنا تمثل لحظة فرح وشجن لآبائنا وامهاتنا الذين سكبوا خباياهم وحكاياتهم في هذه الفعالية الرائعة.. المدرهة كتقليد ثقافي ديني، على شفا حفرة من الاندثار ان لم يكن قد اندثر في غالبية مناطق اليمن مثل كثير من اشكال تراثنا الشعبي واتمنى ان يكون هذا تقليداً سنوياً للتفتيش عن تفاصيل المدرهة عبر كل جذع وحبل سلب واحجار وتراب وجرس وكسوة حاج وحاجة ودموع سكبت في كل أحواش صنعاء وأمل مُنَغَّم انبعث من مدرهة بعودة الحجاج سالمين غانمين.

كما القت الاستاذة هدى الشرفي كلمة نيابة عن مؤسسة حماية التراث والآثار تحدثت فيها قائلة: حيث كان سفر الحجاج طويلاً كانت المدرهة وعلقت في وجدان وذاكرة المجتمع فأصبحت وسيلة علنية للتعبير عن الأمل بعودة الحاج .. وهي مرتبطة بحدث وليست لعبة للتسلية وحسب.

وقد صاحب المهرجان ثلاثة معارض للصور تبرز الحياة التقليدية في صنعاء من ملبوسات وكذلك بعض الوجبات التقليدية وعدد من الفعاليات المتخصصة بالمدرهة، وقد تحدثت الدكتورة رؤوفة حسن عن ذكريات الطفولة بما تحمله من عبق التراث وتحدثت عن نوعية الحياة في صنعاء في تلك الايام مقارنة بما اصبح الآن كما القيت العديد من المحاضرات من ا لبرزها «المدرهة».. وجدانيات بين الحاج وأهله.. في حله و ترحاله» القاها الاستاذ احمد الذهباني حيث تحدث فيها قائلاً:« على الرغم من ان المدرهة ذات صفة عمومية شهدتها وتشهدها المدن والارياف اليمنية.. وتُنصب إما بواسطة اخشاب اعدت خصيصاً للمدرهة أو على غصون الاشجار القوية، أو على عتبات ابواب المنازل وتختلف الالحان من الريف إلى المدينة.

وصنعاء القديمة كانت توجد بها ما يسمى «الحوايا، جمع حوية» ملحقة بالبيوت وتتجمع فيه النساء والبنات وتمارس شتى الانشطة بعيداً عن اعين المتطلعين، وأغاني كلمات ا لمدرهة ترسم صورة رائعة للجمال تبرز أجمل صور اللهفة والحنين وتتواكب مع كافة مراحل الحج.

وفي حديث خاص مع الاستاذة اروى عبده عثمان حول المدرهة تحدثت قائلة : تقليد كهذا يمارس في المدينة ولا يعيب من مظاهر المدينة بل يزيد من ثرائها وتسمى في مناطق اخرى بـ«التدرة» ومن التقاليد ايضاً تزيين المدرهة بكسوة تسمى «كسوة الحج» وهي ملابس الاحرام وتقام مصاحبة لذلك الموالد والرقصات واطلاق الرصاص وبالنسبة للمرأة تصف حليهاومصوغاتها على أعمدة المدرهة

وبعض الزهور البلدية وتزين بالاجراس والكرات الزجاجية، «الصناصن، وانواع النباتات وتبخر بأنواع البخور» التثوير» وبعد تزيينها يتم التدره بحيث يشترك كل من الاطفال والرجال والنساء في مواقيت محددة والتدره يكون بين اثنين احدهما يكون جالساً ولآخر واقفاً حيث يغرد احدهما بصوت والآخر يرد او ما يسمى شعبياً «يشل» والآخر يرد وتبدأ البنت بالتدره لامها فتقول: «جيت أدره لأمي الضنينة» والزوجة تقول: «جيت ادره واعتني لك يا غالي».. وللأسف تختفي الكثير من تقاليدنا وتنقرض دون توثيق في الوقت الذي نشاهد في الفضائيات تعزيزاً للتقاليد الموروثة وتوثيقها اثناء اعيادهم القومية..

كما تم خلال المهرجان عرض محاضرة حول المدرهة في الذاكرة الشعبية عبر حوار مع حاج و حاجة، كما تم خلال هذه الفعاليات عرض نماذج صوتية للمداره وتفاصيلها وزغاريدها خصوصاً عند عودة الحجيج. إضافة إلى عرض نماذج من الموالد الخاصة بالرجال والخاصة بالنساء وغير ذلك من الفقرات.

من تغاريد المدرهة

يـــا لمـــن ذي المـــدرهـــة	وصـــوتهـــا شـــجـــاني
وصـــوتهـــا شـجـى الجـبـــال	ورَعّـــــــــد الـوديـــان
يامــدرهـة سـيـري ســواء	لا تـرخـي الحـــبـــــال
لا تـرخـي الحـبـــال السلب	فـــوقـك ثـقـــيله غـــالي
ياحـــمـــامـــة عـــرفـــة	حَـــومِي وحـــومـي
واعـــرفـي لـنـا حـــجـنـا	هـو طـويـل خـضـــراني
واعـــــــرفـي لـنـا وزرتـه	هـي كـلـهـــا بـيـــضـــاني
واعـــرفـي لـنـا عـــصـيـــتــه	هـي شـــوحـط او رمـــاني
يا مـــبـــشـــر بـالحـجـيـج	بـشـــــارتـك بـشـــــارة
بـشـــارتـك صـنـعـــاء الـيـــمـن	وتـلـحـــــقــــه شـــــراره

■ صحيفة «المرأة» - يناير ٢٠٠٥م

نجاح رائع وجميل للمهرجان الأول للمدرهة

● بعد نشاط رائع، متلون بألوانه الزاهية مثل قوس قزح لمهرجان المدرهة الأول والذي اقيم طيلة ثلاثة أيام متوالية استعراضية في مسرح الهواء الطلق القائم في وادي السائلة أو داخل بستان العمري في صنعاء والذي تم فيه استعراض وتقديم الاعداد الكثيرة والملونة من الموروثات الشعبية التي اشتهرت بها في الماضي صنعاء القديمة ولا يزال بعضها قائماً، مثل الاعمال الحرفية والمشغولات اليدوية وحتى صناعة وبيع الملوج واللحوح والسبايا والسلته وبنت الصحن الى آخر ما هو معروف مما يندرج في اطار الموروث الثقافي للعاصمة صنعاء انتهى المهرجان الذي اقيم طيلة ثلاثه ايام بمبادرة منظمة لبيت الموروث الشعبي اليمني بصنعاء وتحت عنوان «لذاكرة الآتي» انتهى المهرجان الطيب بحضور الاخ الاستاذ محمد عبده سعيد انعم عضو مجلس النواب والذي استعرض مع الجموع الحاضرين من المواطنين والسياح كل فعاليات المهرجان الاول وقام في نهاية المهرجان الاستاذ محمد عبده سعيد انعم بتوزيع شهادات التقدير والهدايا على جميع المشاركين في المهرجان وسط التصفيق واعجاب الحضور الكبير وعدد من السياح والزائرين الذين عبروا عن اعجابهم الشديد بتلك الالوان والفعاليات التي اقيمت بحضورهم وبما شاهدوه طوال ايام ذلك المهرجان.. في الوقت نفسه كتعبير عن الابتهاج بالنجاح عبرت الاخت اروى عبده عثمان عن سعادتها الغامرة لنجاح المهرجان واكدت بأن النجاح الايجابي الطيب للمهرجان شجع جميع المشاركين فيه على مواصلة الجهود والعمل في اقامة مهرجانات وعروض مشابهة في مختلف المحافظات اليمنية من اجل احياء التراث وتوثيقه.

كما ان بيت الموروث الشعبي اليمني هو الآخر من جانبه يستعد لعمل مهرجان وفعاليات اخرى تتعلق بمجال الموروث الشعبي اليمني سيتم الاعلان عنها في الايام المقبلة معبرة عن جزيل الشكر والامتنان لكل من شارك في انجاح هذا المهرجان بالدعم والتشجيع او بالمشاركة او الحضور او بالتعبير بالآراء التي عبرت عن كبير الاعجاب والتقدير لما شاهدوه طوال ايام المهرجان وقد شملت فعاليات المهرجان قيام الحضور بالمرور على معروضات الحرف

والمشغولات اليدوية والازياء الفلكلورية الى جانب الصور الفوتوغرافية والملبوسات التقليدية وكل ما يتعلق من اخبار واشعار المدرهة واهتمامها بذهاب الحجاج ومجيئهم الى آخر ما سبق وعبرنا عنه من احتواء المعرض للمأكولات الصنعانية المعروفة بما فيها السلته وبنت الصحن والسبايا وغير ذلك من المأكولات الشعبية الشهيرة، خلاصة ما نريد قوله عن المهرجان وعن نجاحه كبادره للمرة الاولى هو اننا اذا ما ظللنا نهتم بالموروث الشعبي للتراث اليمني الغني والعريق والذي تزخر به جميع مدن ومحافظات الجمهورية اليمنية فاننا بذلك نحيي تراث الامجاد ونضع صورة رائعة مشرقة للتراث والفن اليمني الاصيل والعريق امام زوار اليمن من اجانب وغيرهم سواحاً او زوار لان موروث الفن الشعبي هو جزء هام من تاريخ اليمن ومن الصورة المشرقة لحياة اليمنيين وعاداتهم وتقاليدهم وكيف كانوا يهتمون بالقضايا الادبية والثقافية والاجتماعية وبكل ما له صلة بحياة الانسان اليمني الطيب والاصيل.

تجدر الاشارة هنا الى ان المدرهة كانت تقام -كما نعرف عن معرفه وعلم واطلاع- من اول العشر لبداية شهر ذي الحجة وعند قيام الحجاج بالسفر وتنتهي بعد العيد وهو امر نعرفه وكنا نشارك لحضور المدرهة من اجل الاستماع الى تلك الاصوات التي لا تزال عالقة في اذهاننا وهي من الجمال والمتعة والسعادة ما لايتصوره اي مواطن يمني من الناشئه وهو تراث يكاد يضيع وينقرض من بين ايديهم وبوسعهم ان يحافظوا عليه بكل ما اوتوا من قوة بل و يعضوا عليه بالنواجذ اذا ما استفادوا ممن بقي من الجيل القديم المخضرم والذي يعرف اهمية المدرهة وما تمثله او تعبر عنه عند سفر الحجاج والشجن عليهم.

■ «صنعاء» - ١٦ يناير ٢٠٠٥م

المدرهة... وتغاريدها

معرض لأجمل الصور الإبداعية والعاطفية

■ إعداد: احمد يحيى الوريث

● المدرهة والتدره تقليد قديم ارتبط بعيد الأضحى وسفر الحجاج إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج. ويعتقد أن فكرة التدره للحجيج جاءت من حركة المدرهة ذهاباً وإياباً، فذهابها إلى الأمام يتم بالإرادة والفعل الإنساني ممثلاً بدفع اليدين لها ويشبه بالرحيل للحج الذي يتم بعقد النية والعزم على الانطلاق من قوة الدافع الديني بينما أمر العودة يكون في علم الله، وكانت المدرهة الترجمان لحالة الحب والشوق الحقيقية على مسافر يذهب ويودع وليس له ضمان بأن يتمكن من أن يعود، والمدرهة كلمة عربية فصحى مشتقة من المُدره وتعني في اللغة لسان القوم والمتكلم عنهم.

المدرهة

أو الأرجوحة كما هي معروفة في دول العالم تتكون من خشبة أو شبهها تعلق بحبل أو سلسلة حديدية على أعمدة خشبية أو حديدية أعدت خصيصاً لها أو على غصون الاشجار القوية.

وفي صناعتها يتم تحري القوة والمتانة في اختيار نوعية الأشجار التي ستستعمل اعمدة لحمل المدرهة والمتدرهين وتوثق بشدة لتترابط فيما بينها بحبال السلب «نوع من أشجار الصبار» وقد تكون حبال جلدية، وكذلك حبال المدرهة تختار من أقوى الحبال وأمتنها وقد تعلق بسلاسل حديدية كبيرة وذلك خشية انقطاعها، حيث كان هناك معتقداً أنه إذا انقطعت المدرهة فإن ذلك نذير شؤم وأن هناك خطراً يحدق بالحاج.

وتبدأ عملية نصب المدرهة عندما تغيب مواكب الحجاج عن الأنظار من قبل الأهل والأقارب والجيران في حوش أو فناء منزل الحاج أو أحد جيرانه أو أي ميدان يتفقون عليه.

ويتم تزيين أعمدة المدرهة بكسوة تسمى «كسوة الحاج» وهي ملابس الإحرام التي تستبدل فيما بعد بملابس المناسبات كالعمامة وجهاز الجنبية والبندقية وبالمثل ملابس الحاجة - المرآة وحليها الفضية والذهبية تضاف إليها أيضاً -أي المدرهة-

بعض من النباتات والزهور العطرية. وتزود حبال المدرهة أو سلوسها بأجراس وكرات زجاجية تسمى «الصناصن» من أجل إصدار صوت عالٍ أثناء التدره.

وهنالك طقوس عديدة تشهدها المدرهة وعملية التدره منذ سفر الحاج وفترة انتظاره حتى عودته سالماً غانماً مثل إلقاء الأدعية، الموالد، الرقصات، الأغاني الشعبية وبالأخص اغاني أو تغاريد المدرهة التي تكون في الغالب حزينة لانها تعبر عن العواطف والمشاعر التي لاتخلو من الخوف والقلق على الحجيج الذين كانوا يقضون مدة من ثلاثة إلى أربعة أشهر في الذهاب إلى الأراضي المقدسة والعودة إلى أرض الوطن وتلك الرحلة كانت محفوفة بالمخاطر ولايعلم ماذا ينتظر الحاج من أحداث.

ويكون التدره بين اثنين احدهما جالس والآخر واقف، حيث يغرد احدهما بصوت والآخر يرد مكرراً نفس التغريد، وتعطى الأولوية في اعتلاء المدرهة لأهل الحاج وأقاربه الذين هم بطبيعة الحال أكثر شجناً له وحزناً عليه، بعد ذلك يأتي دور الجيران والأصحاب وقد جرت العادة بأن يخصص وقت الصباح والظهيرة لتدره النساء والأطفال وفترة المساء -التي قد تمتد إلى منتصف الليل- لتدره الرجال ويستمر هذا التقليد حتى عودة الحجاج سالين.

ومن معرض المدرهة «إن جاز التعبير» نستعرض عدداً من أجمل الصور الإبداعية والعاطفية التي عبرت عنها تغاريدها.

اللوحة الاولى

خاصة باعتلاء المدرهة وذكر الله سبحانه وتعالى، حيث جرت العادة عند الخطباء والشعراء والفنانين أن يبدأ الكلام بذكر الله:

يالله طلعنا المدرهة
في حفاظ رحماني
في حفاظ واحد كريم
حاشاه بأن ينساني
بدعت بش يالفاتحة
يالي اوليش أسامي
وآخرش شن المطر
ودحدح الودياني

اللوحة الثانية

توضح عزم الحاج على السفر وكتابته لوصيته « لأنه لا يضمن العودة» وكذلك طلب المسامحة من الأهل والجيران والدعاء له:

وابي عزم مكة يحج
وسامح الجيران
وأوصى بما يملك معه
الله يوديه سالي

اللوحة الثالثة

وهي موجهة للحاضرين والأصدقاء تصف حال الحاج وأسرته وما خالجهم من شعور وأحاسيس عند مغادرته لبيته وتوجهه لبيت الله الحرام:

لو تبسروا يالحاضرين
كيف خرجة الحجاجي

لو تبسروا يالأصدقاء
كيف خرجة الجمالي
رجع من الشارع يقول
في ذمتش عيالي
في ذمتش عول الكبد
عادوا زغير غاوي
لو تبسروا يالحاضرين
حين قامت الطيارة
أحسست قلبي حين رجف
ودمعتي سياله
الريق في حلقي نشف
وأحسست روحي قد ذاب

اللوحة الرابعة

ولأن المدرهة هي السلوى والتسلية الوحيدة لأهل الحاج واقاريه ويتسلى معهم جيرانه ترى هذه اللوحة الحوارية الجميلة بين أهل الحاج والمدرهة:

ويا حبال المدرهة
ما لصوتش واهي
ويا سلوس المدرهة
ما لصوتش واهي
قالت: أني واهية
لا ما أحد كساني
وكسوتي رطلين حديد
والخشب رماني

اللوحة الخامسة

وهي لوحة خاصة بالشجى والشجن والتغزل في صفات الحاج والتعبير عن غلاوته لديهم:

ويا لمن ذا المدرهة
ذي صوتها شجاني
ذي صوتها شجى الجبال
ورعدل الوديان
هي لدولة أو لمن؟
أو لحاكم حكامي
أو لقاري في الكتب
أو لخط الأقلام
ما ندره ما نقول؟
في الحجيج الغالي
فيك ياسيد الرجال
وياقنيف علاني

اللوحة السادسة

وهي لوحة التمنيات التي تسكب على المدرهة برجوع الحاج سالماً وسالياً:

وحجنا قد ساريحج
الله يرجعه سالمي
الله يرجعه للأهل
والأصحاب وجملة الجيران

اللوحة السابعة

وهي موجهة للحمام ، التي كانت الوسيلة الرئيسية للتواصل قديماً، وذلك لتستطلع أحوال الحاج وتسليمه مكتوبهم من خلال إعطائها أوصافه:

ويا حمامة عرفة
قومي حومي وحومي

وأعـــرفي لي حــجـنـا
هو دقــيق خـضــراني
وأعــرفي لي عـصـيـتـه
هي شــوحط أو رمــاني
وأعــرفي لي دســعــتــه
هي دســعـــة الحــمــامي
وشل لي ذيـه الكـتـــاب
في جـنـاحـك وأغـــريـه
ووصلـه يـد حــــجـنـا
يـفــتــشـــه ويـقــراه
في أولـه مـنـي ســـلام
وآخـــره تـعــتـــاب
إذا ســأل كـيـف حــالنـا
قـل: سـلم الـلـه حـــالـك

اللوحة الثامنة

وهي لوحة حوارية أخرى ولكن بين الحاج وأهله يستفسرون فيها عن أحواله:

يـا حــجـنـا.. يـاحـــجـنـا
وأيـن قــدك وأيـن عــادك
قـل: عــادنا وسط الحــرام
ومـلـتـــوي لـزمـــزم
لو تـبــســـرونا يا أهلـنا
وسط الحــرم مــرحــمـنـا
مــخلسين بـاجـســامنا
والإلـــه يــنـــظـــرنـــا
يـاوالـده يام الـبـــدور
لاتـوحـــشـيش أكـبــادي
وزيـدي لـي فـي الدعـــاء
والـلـه يـصـلـح شـــاني

اللوحة التاسعة

وهي لوحة خاصة بالمبشر وهو الشخص الذي يكون أول الواصلين من الاراضي المقدسة حيث يحتشد الأهل والأقارب والجيران يستفسرون عن حاجهم وهل شاهده؟ ومتى سيعود ويكون له البشارة والتي قد تكون مادية أو معنوية:

ويـا مــبــشــر بالحــجـيج
بـشـــارتـك بـشـــاره
بشـــارتك دار الوصــــول
وتـلـحــقـــه شـــراره
ويامـبــشــر بالحــجـيج
بـشـــارتـك من عـــيـني
بشـــارتك حلقـــة يدي
والقــرش اللي في جـيـبي
بشـــارتك خـــاتم ذهب
وأربـع حــبــوب من صــدري

اللوحة العاشرة والاخيرة

وهي اللوحـة الخـاصـة بالاسـتـعـداد لاستقبال الحاج والاحتفاء به:

ويا أخــو الحــاج الكـبــيــر
قــوم احــتــزم والقى أخــوك
ياجـمـلي يابـو عـبــاد
قـــوم احـتـــزم والقى أبوك
قــوم القـفـه لقـفـة ملوك
واضــــرب الـطـيـــســـانِ
واذبح الثـــور الكـبـــيـــر
واكـــرم الضـــيـــفــاني

وأفــــرش الـديـوان حــــريـر
ووضُــــــع المــــــــداكـــــــي
وأقطف اغـصــان الشــذاب
واكـــســـر البـيـض في البـــاب
ثم الصــلاة تـغـشى النبي
الهــــاشــــمي العــــدناني
وآله الأخــيــار جــمــيع
وصـــحــبـــه الفــتــيـــان

الخاتمة

المدرهة والتدره ذلك التقليد الشعبي القديم، ذلك الموروث الشفاهي الذي سيندثر بموت كبار السن، ذلك التقليد الذي يحمل في طياته أجمل الصور التي تعبر عن كتلة من الانفعالات والعواطف المختلفة «فرح وحزن، ترقب وخوف، لهفة وشوق، حنين ولوعة» من أهم وأجمل العادات والتقاليد في بلادنا والتي يجب أن نحافظ عليها من الاندثار وتوثيقها لنقله من ذاكرة الحاضر إلى ذاكرة المستقبل وما قام به بيت الموروث الشعبي بدعم من مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي وتعاون ومساندة أهالي مدينة صنعاء القديمة لإقامة مهرجان خاص بالمدرهة وجعله تقليداً سنوياً يستحق كل الشكر والتقدير والاحتذاء بهم ويستلزم من الجهات ذات العلاقة والمهتمين بالتراث والموروث الشعبي ان تتكاتف جهودهم لإحياء موروثنا الشعبي بمختلف أشكاله وصوره وإزالة الغبار عنه وإرجاعه على الأقل -إن لم نقل لأرض الواقع- لذاكرة المستقبل وليس لذاكرة الكتب وحدها.

وكل عام وأنتم بخير..

■ صحيفة «أمانة العاصمة» - يناير ٢٠٠٥م

لأول مـــرة..

طقوس يمانية عن الحج في صنعاء

• يقيم بيت الموروث الشعبي ومؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي منتصف الشهر الجاري بالعاصمة صنعاء تظاهرة احتفالية ثقافية هي الأولى من نوعها وتعنى بالتعريف ببعض العادات الشعبية المتوارثة منذ القدم في اليمن.

فتحت شعار «لذاكرة الآتي» تنظم المنظمتان غير الحكوميتين على مسرح الهواء الطلق بمدينة صنعاء القديمة في الفترة من ١٢ الى ١٤ يناير ٢٠٠٥ مهرجان «المدرهة» الأول «تقاليد الحجيج في صنعاء».

وقالت رئيسة بيت الموروث الشعبي في تصريح لـ«المؤتمرنت» إن هذا المهرجان يهدف إلى التعرف على تقاليد الحجيج في اليمن من خلال إحياء تقاليد «المدرهة» وهي التغاريد المتنوعة التي تصاحب الحجاج بعد أن انقرضت في كثير من مناطق اليمن؛ حيث سيكون بمثابة تقليد سنوي يشمل مناطق اليمن ليعكس تنوعها الثقافي والفلكلوري.

وأضافت أروى عبده عثمان أن المهرجان سيسعى إلى الكشف عن وجه من أوجه الإبداع الإنساني في عملية الإنشاد أثناء التدره، إضافة إلى أنه توثيق لتقاليد الحجيج سمعياً وبصرياً لتكون مرجعاً للدارسين والمهتمين.

وسيحتوي المهرجان على فعاليات وإبداعات عن هذه العادة التاريخية أبرزها معرض للصور عن الحياة التقليدية البسيطة في مدينة صنعاء القديمة، وعرض للأزياء الشعبية والمأكولات التي يمتاز بها المطبخ الصنعاني ومظاهر أخرى للاحتفال بالحجيج.

كذلك سيشمل المهرجان محاضرات وندوات عن: انطباعات تقاليد المدرهة، والمدرهة بين الشجى والشجن، والمدرهة في الذاكرة الشعبية (حوار مع حاج وحاجة).

وذكرت أروى عثمان أن مسك ختام المهرجان سيتكون من احتفالية التدره بالزغاريد المنتشرة بعودة الحجاج، وهي مراسيم يقيمها الرجال والنساء، وكذا الأناشيد الدينية وتكريم المشاركين.

ويعتبر مهرجان «المدرهة» الأول فرصة للتعرف على تقاليد الحجيج في صنعاء، خاصة وأنه يتزامن مع توافد الحجيج اليمنيين إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج هذا العام والبالغين نحو ٢١ ألف حاج من كافة المناطق اليمنية.

■ «المؤتمرنت» - ٤ يناير ٢٠٠٥م

مهرجان المدرهة الأول

■ تقرير - سمية غازي

• ينظم بيت الموروث الشعبي خلال الفترة من ١٢ الى ١٤ من يناير الحالي مهرجان المدرهة الأول الذي سيقام في مسرح «الهواء الطلق» بصنعاء القديمة بدعم من مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي.

وأوضحت الاخت اروى عبده عثمان -رئيس بيت الموروث الشعبي- لوكالة الانباء اليمنية (سبأ) ان المهرجان يهدف للتعريف بتقاليد توديع واستقبال الحجيج في اليمن، خصوصا مدينة صنعاء وإحياء تقاليد المدرهة والمغارد المتنوعة، بعد أن انقرضت في كثير من مناطق اليمن، بالإضافة إلى تحفيز الرأي العام المحلي والخارجي على الاهتمام بالموروث الشعبي الغني في السمن، والكشف عن وجه من اوجه الابداع الانساني الشعبي من خلال الغناء والانشاد أثناء «التدره».

وقالت اروى عثمان ان نشر موروثنا الشعبي عبر وسائل الاعلام المختلفة، يعرف بوجه من أوجه السياحة الثقافية في اليمن وتوثيق تقاليد الحجيج كتابيا، صوتيا ومرئيا ليكون مرجعا للمهتمين والدارسين، وكذلك نشرها في وسائل الاعلام المختلفة. منوهة الى ان المهرجان سيدشن مطلع شهر ذي الحجة للتعرف عن قرب على الحالة التي يعكسها ذهاب الحاج على أفراد أسرته، فيما سيتم تنصيب المداره حسب طقوس صنعاء للتعرف على تراثها، مثل الأشعار التي تقال أثناء التدره، لافتة الى انه سينظم معرض يضم أزياء الحاج بما يسمى «الجهاز» كتقليد متعارف بتنصيب ملابس الحجاج على المداره أو ما تسمى «كسوة المدرهة» وسيكون تنصيب المداره في مسرح الهواء الطلق (صنعاء القديمة).

واضافت رئيس بيت الموروث الشعبي انه سيتم تنظيم مراسيم الاحتفال باستقبال الحجاج بعودتهم من مكة وسيصاحب الاستقبال الانشاد الديني والموالد الدينية، التي تحتفل بالحاج، كما يشمل معرضا لصور الحياة التقليدية لصنعاء ومعرضاً للملابس الشعبية و المطبخ الصنعاني وتوثيق تقاليد المدرهة بكل تفاصيلها، اصدار كتيب، وسيدي، وكاسيت، وفيديو، وسلايت. كما سيتم تكريم كل من المتدرهين والمتدرهات الذين حافظوا على تراث المدرهة وتقاليد توديع واستقبال الحجيج لعقود من الزمن. وستقدم في المهرجان عدد من المحاضرات التي تجسد أهمية المهرجان.

واعتبرت ان المهرجان سيكون بمثابة احتفالية ثقافية متنوعة، ترمي ليس في

عملية التوثيق فحسب، بل الى احياء ذاكرة هذا التقليد الهام الذي يتزامن مع موسم الحج، كما سيمكن جهات الاختصاص من الالتفات نحو مثل هذه الطقوس الجميلة وضرورة المحافظة عليها.

الجدير ذكره ان تقليد المدرهة (الارجوحة) يعود لفترات قديمة جداً حيث يعد تعبيراً عن فرحة الاهالي بعودة حجاجهم عقب تعرضهم للعديد من الصعاب والمخاطر خلال سفرهم لاداء فريضة الحج. كما تسمى مدرهة العودة حيث يستقبل الحاج بطقوس تبدو غريبة لكنها مُسلية وفرائحية، ومنها «المدرهة» التي تبدأ بعد عيد الأضحى بيومين أو ثلاثة أيام، بغرض تشويق الحاج للعودة إلى أهله ومحبيه، وذكره بالخير والدعاء له بالعودة سالماً. حيث توضع هذه المدرهة في فناء منزل الحاج أو في فناء منزل أحد جيرانه إذا لم يكن له فناء، ويوضع عليها شال أو عمامة يسمونها «عمامة الحاج» الذي لم يأت بعد، وتستمر بعد عودته شهرين أو ثلاثة أشهر يتجمع خلالها الجيران والأهل والأقارب والأصدقاء حول المدرهة وينشدون وقد علقوا عليها الناقوس: «يا مدرهة يا مدرهة.. مال صوتش (صوتك) واهي (منخفض).. قالت أنا واهية وما حد كساني.. كسوتي رطلين حديد والخشب رُماني» ثم يأتي شخص يدعى «المُمَدْرِّه» وله سمات «المُسَبِح» فينشد من ضمن ما ينشده: «يا مُبشر بالحج بشارتك بشارة.. هنيَت لك يا حاجنا فزت بالغفراني.. زرت قبر المصطفى وتلمس الأركاني.. والصلاة والسلام على الرسول يا من سمع يصلي على النبي العدناني».

■ «سبأ نت» - ٥ يناير ٢٠٠٥م

الأربعاء.. انطلاقة فعاليات مهرجان المدرهة بصنعاء القديمة

• تحت شعار «لذاكرة الآتي» تنطلق يوم الاربعاء المقبل على مسرح الهواء الطلق بمدينة صنعاء القديمة فعاليات «مهرجان المدرهة الأول» الذي ينظمه على مدى ثلاثة أيام بيت الموروث الشعبي بتمويل من مؤسسة حماية الاثار والتراث الثقافي.

ويهدف المهرجان إلى التعرف على تقاليد الحجيج والإنشاد التي تصاحب سفر وعودة الحجاج والكشف عن أوجه الإبداع الإنساني من خلال الغناء والإنشاد أثناء التدره، وكذا توثيق تقاليد الحجيج ليكون مرجعاً للمهتمين والدارسين والباحثين، إلى جانب التطرق إلى مراحل توثيق تقاليد المدرهة وإصدار كتيبات وسيديهات وأشرطة كاسيت وفيديو لتلك المراحل والأغاني التي كانت تردد أثناء التدره.

وسيقام على هامش فعاليات المهرجان سوق مفتوح تعرض فيه نماذج من الحرف والأعمال اليدوية والحرفية.. كما سيتم تنظيم ثلاثة معارض الأول حول طبيعة الحياة التقليدية لسكان صنعاء القديمة والثاني للملابس الشعبية، فيما سيخصص المعرض الثالث لأزياء الحجيج أو ما يسمى «كسوة المدرهة» وهو تقليد متعارف عليه بتنصيب ملابس الحجاج على المدرهة، بالإضافة إلى المطبخ الصنعاني.

وستنطلق فعاليات اليوم الأول للمهرجان عقب حفل الافتتاح بالإعلان عن بدء التدره على انماط الإنشاد المغارد والأهازيج المصاحبة ثم افتتاح معرض الملابس الشعبية وجناح المأكولات الشعبية.. وفي اليوم الثاني سيتواصل التدره وعمل مناظرة بين اثنين من الحجاج يسردان ذكرياتهما عن الحجيج.

كما سيتم على هامش المهرجان تنظيم اربع محاضرات الأولى بعنوان «انطباعات حول تقاليد المدرهة» تلقيها الدكتورة رؤوفة حسن واحمد الذهباني والثانية بعنوان «المدرهة بين الشجى والشجن» يلقيها علي صالح الجمرة، أما المحاضرة الثالثة فستكون بعنوان «المدرهة في الذاكرة الشعبية» يلقيها يحيى محمد المحفدي وحميدة عبدالله الحبابي.

وفي اليوم الأخير من المهرجان سيتم الاحتفال بعودة الحاج من الاراضي المقدسة مع اصوات الطبول والأغاني والأهازيج.. ومن ثم تكريم عدد من المتدرهين والمتدرهات ممن استطاعوا المحافظة على تراث المدرهة وتقاليد الحجيج.

إلى ذلك أشارت الأخت هدى الشرفي مدير مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي في تصريح خاص لـ«٢٦سبتمبرنت» إلى أن هذا المهرجان سيكون تقليداً سنوياً وسيتم توسيعه في الأعوام القادمة ليكون بشكل اكبر واشمل بهدف توثيق التراث وإحياء الموروث الذي شارف على الانتهاء.

■ «٢٦سبتمبرنت» - ٩ يناير ٢٠٠٥م

حمل بين طياته تقاليد الحجيج في صنعاء..

اختتام مهرجان المدرهة الشعبي الأول لإحياء العادات اليمنية القديمة

• اختتمت أمس بالعاصمة صنعاء فعالية التظاهرة الثقافية الأولى لإحياء بعض العادات اليمنية القديمة التي عرفها اليمنيون في القدم وانقرضت بمرور السنين ومنها تقاليد «المدرهة» الشعبية الذي يؤديها أهالي الحجيج.

فقد أحيى بيت الموروث الشعبي ومؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي - منظمتان غير حكوميتين- مهرجاناً شعبياً ثقافياً على مسرح الهواء الطلق بمدينة صنعاء القديمة وحمل بين طياته تقاليد «المدرهة» تقاليد الحجيج في صنعاء.

وهدف المهرجان الشعبي الأول الذي افتتح الأربعاء الماضي إلى التعرف على تقاليد الحجيج في اليمن وأبرزها بمدينة صنعاء القديمة، حيث تضمن التغاريد المتنوعة التي تصاحب الحجاج بعد أن اندثرت في كثير من مناطق اليمن، إضافة إلى أن المهرجان قد قدم إبداعات كشفت عن وجه من أوجه الإبداع الإنساني في عملية الإنشاء أثناء «المدرهة».

ويعد المهرجان احتفالية شعبية توثق إحدى تقاليد اليمنيين في القدم للحجيج من خلال مظاهر احتفالية سمعية وبصرية بالإضافة إلى مظاهر عن الحياة التقليدية البسيطة في مدينة صنعاء القديمة التي تتنوع بين الملابس الشعبية والمأكولات التي يشهدها المطبخ الصنعاني خلال الاحتفال بالحجيج.

وكان المهرجان «المدرهة» الذي قد شهد في فعالية افتتاحه الاربعاء حضوراً جماهيراً وثقافياً، حيث حضره وزير الإعلام حسين ضيف الله العواضي نيابة عن رئيس الوزراء. كما نالت فعالية الافتتاح إعجاب واستحسان سواح أجانب اثناء زيارتهم الميدانية لمدينة صنعاء القديمة.

ونصبت ثلاث مدرهات (أرجوحات) على ساحة مسرح الهواء الطلق أمام مباني المدينة القديمة، حيث تتكون هذه المدرهات من جذوع الأشجار القوية.

وحملت المدرهات في زواياها عروض لأزياء شعبية قديمة لسكان صنعاء والتي عادة ما يرتدونها في مناسبات دينية مثل «احتفالية الحاج أو الحجيج».

وتشير روايات قديمة أن عادة المدرهة اختلقها أهل مدينة صنعاء القديمة عندما كانت أسفار ورحلات الحجيج إلى الأرض المقدسة «السعودية» طويلة إذ تبدأ مناسباتها مع حلول شهر رمضان الفضيل، فقد كانت رحلات الحجيج لها مخاطرها وصعوبتها بتلك الأثناء من الزمن القديم.

وأعادت مدبرة إحياء احتفالية المدرهة بصنعاء إلى الأذهان إبداعات هذه العادة التاريخية والروحية التي افتقدتها أهالي المدينة جراء عوامل عديدة أبرزها المعاناة المعيشية وشحة الموارد المالية.

وتقول أروى عبده عثمان رئيس بيت الموروث الشعبي الذي نظمت هذا المهرجان أنها منذ نعومة أظافرها كانت تتعلق بفنون التراث، فكثيراً ما كان يشدها إبداع الإنسان اليمني.

وكانت جدتها التي رحلت أنموذجاً في تحريك مشاعرها للبحث في أعمال التاريخ اليمني الثقافي، ظلت الحكايات والقصص الشعبية عن أسواق البخور والعطور وصناعة الفضة والسيوف وغيرها من الثقافة اليمنية ثروات كبيرة من تراث ثقافي تملكه اليمن، ويحتاج في هذا القرن الـ٢١ إلى من ينشر الوعي الثقافي والتنبيه بأهمية التراث اليمني.

ويروي سكان معاصرون لـ«الصحوة نت» حول هذه الطقوس اليمانية عن الحج في مدينة صنعاء القديمة بأنها نوع من تقاليد الثقافة الفلكلورية التي ظهرت في الثلاثينيات من القرن العشرين وتتمتع بمظاهر جمالية لها من الشجن والشجى الشعبي على غرار الموالد الدينية.

■ «الصحوة نت» - ١٥ يناير ٢٠٠٥م

صنعاء تطلق المهرجان الأول للمدرهة

• كانت المدرهة او المرجيحة كما تعرف بالعامية تستخدم كرمز في الماضي الأهالي والجيران لزيارة اهل المسافر الحاج إلى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج وذلك لتخفيف اعبائهم وشجونهم ومشاركتهم في الدعاء لعودته بالسلامة.

وللحفاظ على هذا التراث القديم من الاندثار اقيم ولأول مرة خلال موسم الحج في مدينة صنعاء العتيقة مهرجان أطلق عليه المهرجان الأول للمدرهة. مزيداً من التفاصيل مع حمود منصر.

طقوس قد تبدو غريبة لكنها عريقة تجمع بين مظاهر اللهو واللعب ومشاعر الفرح والشجن تم احياؤها في المهرجان السنوي الأول لما يسمى في الموروث الشعبي الصنعاني بـ«المدرهة» أي الأرجوحة التي كانت الاسر اليمنية حتى عهد قريب في صنعاء وبعض المناطق الاخرى تنصبها في افنية المنازل طوال مواسم الحج منذ توديع احد اقاربها المسافر الى الديار المقدسة لاداء فريضة الحج. اشعار واغاريد واهازيج يرددها الرجال والنساء والاطفال اثناء التدره أو التمرجح تمتزج فيها مشاعر الفرح بالشجن والقلق على الحاج من مخاطر السفر والدعاء له بالسلامة.

والمدرهة ذاكرة تراث كاد ان يندثر غاب عن برامج وزارة الثقافة اليمنية في عام صنعاء كعاصمة للثقافة العربية لكنه حضر في بيت التراث.

وقد اقيم هذا المهرجان الاول للمدرهة في مناسبة موسم الحج لهذا العام وتدشيناً لعام السياحة في اليمن.

وتحدثت الاخت اروى عثمان -رئيسة بيت التراث بصنعاء- قائلة: وثقت المغارد والاناشيد التي كانت موجودة وتنشدها النساء والرجال على المدرهة وعندما فتشت في النصوص وجدت ان هناك في حالة انسانية ذات شجن وحزن وتوسل وكثير من الاحاسيس الانسانية والمشاعر وحاولت بقدر الامكان ان اعيد صياغتها واحيي هذه المدرهة التي انقرضت.

عودة للتقرير:

والمدرهة التي هي عنوان هذا المهرجان لم تكن مجرد لعبة للتسلية بل ارتبطت بها الكثير من تقاليد الحجيج في صنعاء على وجه الخصوص واستعداداتهم للسفر وتجهيزهم ومراسم توديعهم، والانعكاسات التي تترتب على سفرهم فان كان الحاج

رجلاً تجهز المدرهة بملابسه وان كانت امرأة تجهز المدرهة بملابس نسائية.

كانت المدرهة رمزاً للتواصل الوجداني والشعوري بين الحاج واسرته واقاربه وجيرانه الذين يتناوبون في التدره أو التمرجح وترديد الاهازيج الدينية والاشعار الشجية.

وربما كانت لهذه التقاليد مبرراتها في الماضي حين كانت البغال والجمال وسيلة السفر اما اليوم فتبدو العملية مجرد موروث مع تطور وسائل النقل والاتصال. غير ان القلق على حياة الحجاج لم يتبدد عند ذويهم.

ووجهة نظر اخرى تكشف عنها الحاجة حميدة الحبابي حيث تعتبر المدرهة ذاكرة شعب وتاريخاً جديراً بالاهتمام تربطها بماض مليء بالذكريات بعثها واحياها المهرجان الاول للمدرهة الذي يراد له ان يكون تقليداً سنوياً يقام في مواسم الحج لاحياء الموروث الشعبي.

وتحدثت الدكتورة رؤوفة حسن استاذة اعلام بقولها: الظاهرة على وشك الانتهاء والمهرجان يذكر بها الناس ويذكر بها في فترة صنعاء لم تعد مغلقة على اهلها ولكن صنعاء صارت عاصمة للبلاد كاملة وثقافتها القديمة ليست ثقافة تخلف وانما ثقافة تقدم بإعتبارها كانت في ازمان معينة عاصمة وانتجت ثقافة راقية تستحق ان تتناقل بين اجيال اليمن باعتبارها عاصمتهم وليس باعتبارها ملكاً لمجموعة من الناس وحفنة من السكان فيها.

عودة للتقرير:

تحول مهرجان المدرهة من مجرد مناسبة لاحياء الموروث الشعبي إلى ملتقى ثقافي وابداعي متنوع تفاعل معه الكبار والصغار وارتاده السياح ليكتشفوا وجهاً اخر لصنعاء غير وجهها المعماري الفريد.

■ قناة «العربية» - ٢٨ يناير ٢٠٠٥م

قناة أبو ظبي: برنامج «المدار» حول المدرهة في اليمن

● من قال ان اللعب بالمدرهة هو حكر للصغار فما زال الكبار في اليمن حتى يومنا هذا يرتبطون بعادات وتقاليد في القرى والمدن يمارسونها خلال موسم الحج بنصب المراجيح والمعروفة لديهم بالمدرهة ويقومون خلالها بترديد الاناشيد الدينية التي تدعو للحاج بقبول حجه وعودته سالماً.

التقرير:

ما إن يقرر الانسان في اليمن الذهاب إلى الاراضي المقدسة لأداء فريضة الحج حتى يستعد أهله وجيرانه بنصب المرجيحة والمعروفة هنا «بالمدرهة» في فناء منزله أو إحدى ساحات القرية وتستمر حتى عودته من هذه الرحلة التي كانت قديماً تعد ذهاباً دون رجعة في حالات كثيرة نظراً لخطورة الطريق ومشقتها.

أروى عثمان - رئيسة مؤسسة الموروث الشعبي: المدرهة ليست فقط مايتردد من اشعار فيها نبرة كبيرة من الحزن لكن هناك ايضاً اشعار وتغاريد تحمل تمنيات طيبة بعودة الحجاج فيها فرح.

عودة إلى التقرير:

تصنع المدرهة من اشجار قوية ومتينة يتم توثيق اعمدتها بحبال قوية فانقطاعها يحمل اعتقاداً ينذر بالشؤم من ان الحاج في خطر يحدق به ويتم تعليق ملابس الحاج أو الحاجة فوق المدرهة ليذكروا في غيابهم ويدعى لهم بالتوفيق في الرحلة المباركة.

مواطنة: ياحاجنا الله يعودك سالي، الله يعودك مثل الرعود مثل السحائب السود.

عودة إلى التقرير:

مقولات اكدت أن هذه العادة هي في الأصل من عادات مدينة صنعاء القديمة ثم انتشرت لباقي القرى والمدن مع حركة التجارة من صنعاء واليها واصبحت مرتبطة برحلة الحجاج وعيد الأضحى المبارك كل عام.

وزير الاعلام اليمني حسين العواضي: هذه العادات الجميلة منها المدرهة انتقلت خارج صنعاء لأن بالطبع صنعاء هي مدينة كل اليمنيين وعندما كان يأتوا المسافرين من خارج مدينة صنعاء من الارياف المحيطة من مدن اليمن من قرى اليمن إلى صنعاء للتبضع والاسواق ينقلوا هذه العادات الجميلة.

عودة إلى التقرير:

المدرهة في اليمن هي تسلية لأهل الحاج حتى عودته من مكة وتخصص فترة الصباح والظهرية للنساء وفترة المساء تخصص للرجال وتمارسها كل شرائح المجتمع في اليمن لا فرق بين وزير وغفير. جمعت المدرهة بين الحزن والفرح برحيل الحاج الى الاراضي المقدسة وعودته منها وقبل ذلك جمعت بين عادات وتقاليد هي موجودة في مختلف القرى والمدن اليمنية.

■ قناة «أبوظبي» - ١٨ يناير ٢٠٠٥م

مهرجان «المدرهة» يحيي تقاليد توديع واستقبال الحجيج في اليمن

● نظم بيت الموروث الشعبي اليمني بالتعاون مع مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي بمسرح «الهواء الطلق» في صنعاء القديمة اخيراً مهرجان المدرهة (الأرجوحة) الاول تحت شعار «لذاكرة الآتي».

وقالت أروى عبده عثمان رئيسة بيت الموروث الشعبي إن المهرجان الذي جرت فعالياته على مدى ثلاثة أيام، يهدف بصورة اساسية إلى إحياء تقاليد «المدرهة» وهي مجموعة الطقوس والاحتفالات التي تقام عادة عند توديع الحجيج وعند استقبالهم، لدى عودتهم بعد اداء الفريضة، وما يصحب هذه الاحتفالات من العاب واناشيد واهازيج، موضحة ان المهرجان «يهدف أيضاً إلى الحفاظ على هذه الممارسة الشعبية، بعد ان اخذت في الاندثار، ودفع الجهات المختصة في الداخل والخارج للاهتمام بالموروث الشعبي، والعمل على إحيائه والحفاظ على احد اشكال الخصوصية الثقافية».

وتضمن المهرجان عدداً من الفعاليات والمعارض الخاصة بالموروث الشعبي المادي والشفاهي والندوات والمحاضرات المتعلقة بالمدرهة في الذاكرة الشعبية، ونماذج إنشادية للمدرهة التي تعتبر من أبرز العادات والتقاليد الاجتماعية في اليمن، خاصة صنعاء القديمة.

ويكتسب مهرجان المدرهة، كتقليد سيصبح سنوياً، أهمية خاصة، منها تزامنه مع موسم الحج، وايضاً لتزامنه مع تدشين فعاليات صنعاء «عاصمة للسياحة» للعام الحالي.

■ «الشرق الأوسط» - ٢٠ يناير ٢٠٠٥م

اليمن يحتفل ببدء موسم الحج بـ«مهرجان الأرجوحة»

• مع بداية موسم الحج ينظم «بيت الموروث الشعبي» مهرجاناً عن المدرهة (الأرجوحة) والتي ارتبطت في كثير من مناطق اليمن وخصوصاً صنعاء بالحجاج، وينظم «مهرجان المدرهة الأول» يوم الاربعاء المقبل تحت شعار «لذاكرة الآتي» بتمويل من مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي.

وحسب بيان وزعته صاحبة «بيت الموروث الشعبي» الباحثة والقاصة اروى عبده عثمان إحدى أنشط الباحثات في مجال «الموروث الشعبي»، فإن مهرجانها الذي سيعقد على مدى ثلاثة أيام في مسرح الهواء الطلق في مدينة صنعاء القديمة، يهدف إلى التعرف إلى تقاليد الحجيج والإنشاد التي تصاحب سفر وعودة الحجاج والكشف عن أوجه الإبداع الإنساني من خلال الغناء والإنشاء أثناء التدره (التأرجح).

وقالت إنها تريد من وراء هذه الفعالية «توثيق تقاليد الحجيج ليكون مرجعاً للمهتمين والدارسين والباحثين» إلى جانب التطرق إلى مراحل توثيق تقاليد المدرهة وإصدار كتيبات وسيديهات وأشرطة كاسيت وفيديو لتلك المراحل والأغاني التي كانت تردد أثناء ممارسة التأرجح لوداع الحجيج أو فترة انتظارهم واستقبالهم.

وسيقام على هامش المهرجان سوق مفتوح تعرض فيه نماذج من الحرف والأعمال اليدوية والحرفية، كما سيتم تنظيم ثلاثة معارض، الأول حول طبيعة الحياة التقليدية لسكان صنعاء القديمة والثاني للملابس الشعبية، فيما سيخصص المعرض الثالث لأزياء الحجيج أو ما يسمى «كسوة المدرهة» وهو تقليد متعارف عليه بتنصيب ملابس الحجاج على «الأرجوحة» بالإضافة إلى المطبخ الصنعاني.

ومن المقرر أن تنطلق فعاليات اليوم الأول للمهرجان بالإعلان عن بدء التأرجح على انماط الانشاد والأهازيج المصاحبة ثم افتتاح معرض الملابس الشعبية وجناح المأكولات الشعبية. وفي اليوم الثاني سيتواصل التأرجح وعمل مناظرة بين اثنين من الحجاج يسردان ذكرياتهما عن الحجيج. وعلى هامش المهرجان سيتم تنظيم ثلاث محاضرات الأولى بعنوان «انطباعات حول تقاليد المدرهة» تلقيها الدكتورة رؤوفة حسن واحمد الذهباني والثانية بعنوان «المدرهة بين الشجى والشجن» وفي اليوم الأخير من المهرجان سيتم الاحتفال بعودة الحاج من الاراضي المقدسة مع اصوات الطبول والأغاني والاهازيج ومن ثم تكريم عدد ممن مازالوا يحافظون على عادة «التأرجح».

■ «الخليج» الإماراتية - ١٢ يناير ٢٠٠٥م

مهرجان «المدرهة».. فعالية إحياء التراث الشعبي اليمني

■ صنعاء - عبدالكريم سلام

• ضمن اهتمامها بالتراث الشعبي نظمت الباحثة في التراث الشعبي أروى عبده عثمان داخل مدينة صنعاء القديمة مهرجان «تغاريد المدرهة» بالتزامن مع موسم الحجيج الذي يشكل في الأساس موضوع و مادة التغاريد التي تطلق من على الأرجوحة «المدرهة» مشحونة بالشجى والشجن وممزوجة بلهفة انتظار عودة الحجاج المسافرين.

ولم يقتصر هذا المهرجان على إحياء هذا التقليد الاجتماعي الذي اوشك على الإنقراض بل شمل أيضاً تسليط الضوء على موروث تقليدي والتعريف بمضامينه ودلالاته الفردية والجمعية وضمن هذه الفعالية جاء في الورقة المقدمة من الاستاذ علي بن علي الجمرة عن «المدرهة» أن الموسوعي نشوان بن سعيد الحميري ذكر في موسوعته الشهيرة «شمس العلوم» المدّره بانه لسان القوم والمتكلم عنهم و بالتالي فإن تسمية المدرهة مشتق من المدره لأن من يصعد عليها ينشد بصوت عال الأناشيد الحافلة بالشوق للحبيب الغائب ويخامره في تلك الأثناء شعور بالقلق النفسي والخوف من المجهول.

ويسترسل الجمرة موضحاً أن عادة نصب المدرهة مازالت شائعة في صنعاء وخاصة خلال موسم الحجيج ويعزى نصب الأرجوحة في هذا الموسم بالذات منذ القدم إلى أن الرحيل من مكة إلى اليمن لأداء مناسك الحج كان في الماضي أمراً شاقاً محفوفاً بالمخاطر إذ كانت قوافل الحجاج تعاني منذ خروجها أهوال غارات قطاع الطرق وصعوبة ومشاق السفر في طريق وعرة مليئة بالأشواك والصخور والوحوش والزواحف وغيرها من الأهوال، ولذلك كان المقدمون على أداء الحج يقدمون عليه بكثير من التهيب والتوجس وبالقدر ذاته كان السفر إلى الحج يخلق بدوره في نفوس الأهل والأقارب الحزن والأسى والأشجان ما يستمر لمدة ثلاثة أشهر أو أربعة وهي فترة مثيرة حافلة بالشوق والقلق النفسي وبالتوقعات المبهمة وهذه الظروف انتجت عبر الزمن فنوناً من الأدب الشعبي ونسجت الحكايات والأهازيج والأغاني والتغاريد الممزوجة بلوعة الفراق وشغف الانتظار لعودة الحبيب والقريب الغائب في رحلته المجهولة ثم تتردد تلك التغاريد من على المدرهة ذهاباً وإياباً يتناوب عليها الرجال والنساء -بدرجة كبيرة- والأطفال طوال النهار وحتى ساعات متأخرة من الليل يرددون أغان حزينة من أبيات عفوية معظمها على بحر الرجز.

ويخلص علي الجمرة إلى القول: إن الباعث النفسي والعقلي لنصب المدرهة هو كون كل ارجوحة معلقة بالهواء لها قانون يحكمها تذهب إلى الأمام بالإرادة وتعود إلى الخالف

تلقـائياً كـمـا أن الحج مـثلهـا يبـدأ بالنيـة وبدافع ديني فـإن عـودة المدرهة هنا هي شـجن المتدرهين وشاغلهم بعودة المسافر.

في السـيـاق ذاته تقـول الباحـثة اروى عبـده عثـمان: «تنصيب المدرهة على موسم الحجيج ليس شكلاً فحسب بل يجري وفق طقوس وتقـاليـد، فـمنذ سـفـر الحـاج وعلى مـدار فـتـرة انتظاره ثم عودته سالماً تتردد على المدرهة الأدعية والموالد و الأغاني الشعبية وعند تنصيبها تزين بكسوة تسمى كسوة الحج وهي ملابس الإحرام وتبدأ من ثاني أيام عيد الأضحى وهو مـيـقـات استبـدال مـلابس الإحـرام بملابس الحـاج سـواء أكانت مـلابس عـادية أم مـلابس المناسـبـات وتنشـر تلك الملابس بلا إضافة إلى عدة وأدوات زينـة المسافر على أعـمـدة المدرهة كالثوب والعمامة».

وتعـتـقـد أروى عثـمـان أن نبـرة الحـزن الشـديـد التي تكتسي بهـا مـغارد الحـجـيج والتـدرهة ربما تعـود إلى حـادثة مـقـتل الحـجـيج اليمنيين المشهورة في عام ١٩٢١ الموافق ١٣٤٠هـجـرية التي ذهب ضحيتها ثلاث آلاف حاج يمني ولم ينج منهم سوى خمسة حجاج فقط.

وهو ما تستشفه الباحثة من قول المغرد لحظة سفر الحاج:

لو تبسرونا ياهلنـــــا

حين طرّق الباص في الباب

حسيت قلبي رجف

ودمعتـــي سيالـــــــــة

كمـا تتـعـدد التغـاريـد والأهازيج المشحـونة بنبـرات الحـزن والتوسل لله كي يعود المفارق ويلتم شمل الأسرة التي سافر واحد من افرادها لأداء مناسك الحج.

وتذهب اروى عثمان إلى أن الاهتمام بإحياء التقليد بكل مدلولاته وأبعاده يندرج ضمن المحاولات الرامية إلى المحافظة على الموروث الشعبي وإحياء تقاليده التي تكاد أن تنقرض وتختفي مشيرة إلى أنه لا يعيب المدينة أو ينتقص منها ممارسة التقاليد التراثية الشعبية بل إن جل البلدان تحرص على أن تمارس التقاليد الشعبية في قلب عواصمها.

يخلص المتابع إلى أن المبادرة إلى الاحتفاء بهذا التقليد الذي كاد ينقرض لم يكن مجرد حدث عادي كما هو باد من موضوعه بل مثل تظاهرة غير مسبوقة تعرف اليمنيون من خلالها على تقليد لهم برؤية واعية مكنتهم من اكتشاف دلالات عميقة للعادات الشعبية وهذا الأمر من شأنه أن يبعث الاهتمام بالموروث الشعبي الذي يظل الاهتمام به حتى الآن محدوداً للغاية.

■ «البيان الإماراتية»

محاولة لإحياء الموروث الشعبي

مهرجان المدرهة الثقافي

• «لذاكرة الآتي».. هو الشعار الذي اختاره بيت الموروث الشعبي في اليمن عنوانا لمهرجان المدرهة الثقافي الأول الذي ينطلق على مسرح الهواء الطلق في صنعاء القديمة الأحد القادم بالتعاون مع مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي.

ويسلط المهرجان الضوء على العادات والتقاليد الشعبية المتوارثة التي تزامن موسم الحج وتنطلق مع توجه الحجيج إلى المشاعر المقدسة وحتى عودتهم.

وتقول رئيسة بيت الموروث الشعبي الباحثة أروى عبده عثمان إن المهرجان يسعى إلى التعريف بتقاليد الحجيج في اليمن، خصوصا مدينة صنعاء وإحياء تقاليد المدرهة والمغارد المتنوعة، التي كانت تصاحب سفر الحجيج إلى المشاعر المقدسة بعد أن انقرضت في كثير من مناطق اليمن.

وسيكون المهرجان بمثابة تظاهرة ثقافية متنوعة تهدف إلى إحياء ذاكرة هذا التقليد الهام الذي يتزامن مع موسم الحج، في محاولة للالتفات إلى هذا الطقس والمحافظة عليه.

تسعى الفعالية إلى تحفيز الرأي العام المحلي والخارجي للاهتمام بالموروث الشعبي الغني في اليمن والكشف عن وجه من أوجه الإبداع الإنساني الشعبي من خلال هذا التقليد الحافل بالموروث الغنائي والإنشادي، ونشره، فضلاً عن توثيق تقاليد الحجيج كتابة وصوتاً وصورة وطباعتها في كتيب وأقراص ليزر وفيديو لتكون مرجعا للمهتمين والدارسين.

وتقول رئيسة بيت الموروث الشعبي: إن فعاليات المهرجان ستتناول بطريقة تمثيلية مسرحية العادات التي عرفها السكان في الاستعداد للحج وتقاليد توديع الحجاج واستقبالهم وتدوين الأهازيج والأشعار والأناشيد التي يرددها اليمنيون عند سفر الحجيج وخلال فترة غيابهم وعودتهم.

وستقام أربع محاضرات الأولى بعنوان «انطباعات حول تقاليد المدرهة» تقدمها الدكتورة رؤوفة حسن والباحث أحمد الذهباني والثانية حول «المدرهة بين الشجى والشجن» يقدمها الباحث علي صالح الجمرة، والثالثة حول «المدرهة في الذاكرة الشعبية» للباحثين يحيى محمد المحفدي وحميدة عبدالله الحبابي.

وستقوم إدارة المهرجان بتنظيم ثلاثة معارض الأول للصور يوثق للحياة التقليدية لصنعاء وآخر للأزياء الشعبية وثالثاً للمطبخ الصنعاني، وهي من ابرز العناوين المرتبطة بهذا الموروث الشعبي.

■ «اليوم» السعودية - ٩ يناير ٢٠٠٥م

لأول مرة وتحت شعار «لذاكرة الآتي»..

«عادات وطقوس الحج» في اليمن

• « تحت شعار «لذاكرة الآتي» تقام في العاصمة اليمنية صنعاء منتصف الشهر الجاري تظاهرة احتفالية ثقافية هي الأولى من نوعها وتعنى بالتعريف ببعض العادات الشعبية المتوارثة بتقاليد الحجيج منذ القدم في اليمن.

واوضحت اروى عبده عثمان رئيسة بيت الموروث الشعبي الذي ينظم هذه الاحتفالية بالتعاون مع مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي أن هذا المهرجان يهدف إلى التعرف على تقاليد الحجيج في اليمن من خلال إحياء تقاليد «المدرهة» وهي التغاريد المتنوعة التي تصاحب الحجاج بعد أن انقرضت في كثير من مناطق اليمن، حيث سيكون بمثابة تقليد سنوي يشمل مناطق اليمن ليعكس تنوعها الثقافي والشعبي.

واضافت اروى ان المهرجان سيسعى إلى الكشف عن وجه من اوجه الابداع الانساني في عملية الانشاد اثناء التدره، إضافة إلى أنه توثيق لتقاليد الحجيج سمعياً وبصرياً لتكون مرجعاً للدارسين والمهتمين.

وسيحتوي المهرجان الذي يبدأ في الفترة ١٢-١٤ يناير الجاري على فعاليات وإبداعات عن هذه العادة التاريخية أبرزها معرض للصور عن الحياة التقليدية البسيطة في مدينة صنعاء القديمة، وعرض للأزياء الشعبية والمأكولات التي يمتاز بها المطبخ الصنعاني ومظاهر اخرى للاحتفال بالحجيج.

كذلك سيشمل المهرجان إقامة فصول دراسية للمشاركين الذين سيكون بينهم اجانب حول انطباعات تقاليد المدرهة، والمدرهة بين الشجى والشجن والمدرهة في الذاكرة الشعبية (حوار مع حاج وحاجة).

وذكرت اروى عثمان أن مسك ختام المهرجان سيكون احتفالية التدره بالزغاريد المنتشرة بعودة الحجاج، وهي مراسم يقيمها الرجال والنساء وكذا الاناشيد الدينية وتكريم المشاركين.

ويعتبر مهرجان «المدرهة» الأول فرصة للتعرف على تقاليد الحجيج في صنعاء، خاصة وأنه يتزامن مع توافد الحجاج اليمنيين إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج هذا العام والبالغين نحو ٢١ ألف حاج من كافة المناطق اليمنية.

■ «الوطن» العمانية - ٧ يناير ٢٠٠٥م

اليمن: المدرهة إحدى مظاهر الاحتفال بسفر الحاج اليمني وحتى عودته

● بدأ حجاج بيت الله الحرام عموماً واليمنيون على وجه خاص بالعودة إلى بلادهم بعد ان أدوا مناسك الحج لهذا العام ١٤٢٥هـ بفضل من الله بكل يسر وسهولة دون حوادث تذكر.

وتحتفل معظم المناطق اليمنية منذ سفر الحجيج إلى الأراضي المقدسة في المملكة العربية السعودية وحتى عودتهم إلى مدنهم وقراهم بإقامة المهرجانات والموالد والفعاليات ومن بين هذه الاحتفاليات إقامة المدرهة (المرجيحة).

ولعل أبرز هذه المناطق التي تشتهر بإقامة «المدرهة» هي مدينة صنعاء القديمة، حيث تقام المدرهة في فناء منزل الحاج إن كان له فناء أو في منزل أحد جيرانه، ويوضع عليها شال أو عمامة يسمونها «عمامة الحاج»، او اي قطعة من ملابس الحاج أو الحاجة ويتجمع حولها الأهل والجيران والأصدقاء ويعلقون عليها الناقوس قبل أن يبدأوا ترديد أهازيجهم التقليدية التي تبدأ بمخاطبة المدرهة كقول احد اقارب الحاج وعادة ما تكون ابنة الحاج: «يا مدرهة، يامدرهة. مال صونتش واهي (منخفض)، قالت أنا واهية وما حد كساني. كسوتي رطلين حديد والخشب رُماني».

ويقابله نشيد امرأة أخرى تقول: «أبدأ القول أوله يافرد يامناني، وأثني بقولي بالنبي المصطفى العدناني، وأثلث بقولي في علي الذي دمر الأعداء قاصي وداني».

وعند تجوالك في احياء وحارات مدينة صنعاء القديمة تسمع اصوات هذه الاهازيج وخاصة خلال ايام التشريق بعد اول يوم من عيد الأضحى المبارك، تُعلن عن اشواق حارة لحاج يزور أم القرى مكة والمدينة المنورة، فتردد الفتيات قرب عودة الحاج القول «يا مبُشر بالحج بشارتك بشارة، هنيت لك ياحاجنا فزت بالغفراني، زرت مسجد المصطفى وتلمس الاركاني، والصلاة والسلام على الرسول يامن سمع يصلي على النبي العدناني».

ويؤمن أهالي صنعاء بحاجتهم لهذه الابتهالات ويرددونها بصدق خالص التضرع انطلاقاً من خوفهم القديم المتجدد من احتمالات وفاة حاجهم في الديار المقدسة أو في طريق العودة لا قدر الله، ليستجيب الله لابتهالات اهل الحاج وبمشيئته عز وجل، يعود الحاج غانماً الأجر والثواب والغفران، مشتاقاً تائقاً للأهل والجيران،

مُحملاً بهدايا مكة الجميلة من لعب الاطفال والمسابح والسجاد والعمائم (الكوافي) وغيرها.

وللحفاظ على هذا الموروث الشعبي اقيم بمسرح الهواء الطلق بمدينة صنعاء القديمة، مهرجان المدرهة افتتحة وزير الإعلام اليمني حسين ضيف الله العواضي تحت شعار «لذاكرة الآتي» وينظمه بيت الموروث الشعبي بالتعاون مع مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي.

وهدف المهرجان الذي سيكون بمثابة تقليد سنوي يشمل مناطق اليمن ليعكس تنوعها الثقافي والفلكلوري، إلى التعرف على تقاليد الحجيج في اليمن، على وجه الخصوص في مدينة صنعاء القديمة، وإحياء تقاليد المدرهة، والمغارد المتنوعة بعد ان انقرضت في كثير من مناطق اليمن.

وأكد وزير الإعلام اليمني على أهمية إقامة مثل هذه المهرجانات التي تؤرخ لأهم مرحلة من مراحل التاريخ اليمني العظيم، وقال: إن صنعاء متألقة ومدينة سياحية جميلة ولن يكفيها مائة عام للاحتفال بتلك الروعة والجمال. وأضاف إن المهرجان يحمل دلالات عظيمة وانسانية ويجسد الروحانية الدينية ويؤكد المهام النبيلة والتي لاتتحملها وزارة أو مؤسسات وإنما الجميع تؤكد متانة وقوة الروابط الاسرية.

وتضمن المهرجان الذي استمر ثلاثة ايام عدداً من الفعاليات المتخصصة من بينها انطباعات حول تقاليد المدرهة وحول الشجى والشجن فيها، إضافة إلى محاضرة حول المدرهة في الذاكرة الشعبية عبر حوار مع حاج وحاجة، كما تم خلال هذه الفعاليات عرض نماذج صوتية للمداره وتفاصيلها وزغاريدها خصوصاً عند عودة الحجيج.

■ وكالة الأنباء الإسلامية الدولية - ٢٤ يناير ٢٠٠٥م

استعدادات يمنية لمهرجان مدرهة الحجاج

■ محمد الخامري

• بدأت العادات والتقاليد اليمنية القديمة التي تمثل موروثاً حضارياً متميزاً للمجتمع اليمني بالاندثار، والاحتجاب لصالح عادات مدنية حديثة بدأت بالظهور مؤخراً، ومن تلك العادات القديمة التي بدأت تغيب على المشهد الصنعاني الرائع في شهر ذي الحجة من كل عام، تقليد «المدرهة» وهي الارجوحة التي كانت حاضرة إلى عهد قريب في كل بيت صنعاني تقريباً والتي تستخدم لتوديع واستقبال الحجيج في اليمن، وإحياءً لهذه العادة اليمنية الجميلة قرر بيت الموروث الشعبي ولأول عمل ميداني له منذ إنشائها إحياء هذه المدرهة وإقامة مهرجان المدرهة الأول على المسرح الهواء الطلق بصنعاء القديمة بدعم من مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي، خلال الفترة ١٢-١٤ كانون الثاني (يناير).

وحول الاهداف التي يتوخاها بيت الموروث الشعبي من هذا المهرجان قالت اروى عبده عثمان رئيس بيت الموروث الشعبي ان المهرجان الأول للمدرهة يهدف إلى التعريف بالتقاليد اليمنية القديمة في توديع واستقبال الحجاج.. خصوصاً في مدينة صنعاء، مشيرة إلى أن هناك العديد من التقاليد المناسباتية المتوارثة في جميع المحافظات اليمنية بعضها قد انقرض وبعضها لم يتبق منه إلا الشيء اليسير. ولذلك نحاول في بيت الموروث الشعبي جمع وتدوين وإقامة وإحياء هذه التقاليد عبر المهرجانات والفعاليات المختلفة التي من المقرر أن تتواصل في العديد من المحافظات اليمنية بالتعاون مع بعض الجهات الداعمة.

وأضافت أروى عبده عثمان أن إحياء تقاليد المدرهة والمغارد المتنوعة في صنعاء تقليد سيكون شبه سنوي ضمن العديد من التقاليد التي ينوي بيت الموروث الشعبي القيام بها، وإحياءها بعد ان انقرضت في كثير من مناطق اليمن، بالإضافة إلى تحفيز الرأي العام المحلي والخارجي على الاهتمام بالموروث الشعبي الغني في اليمن.

وقالت انها تهدف من خلال إقامة مهرجان المدرهة إلى الكشف عن وجه من أوجه الإبداع الإنساني الشعبي في العاصمة صنعاء من خلال الغناء والإنشاء اثناء «المدرهة» عند توديع أو استقبال الحجاج في كل عام، مشيرة إلى ان نشر موروثنا الشعبي عبر وسائل الاعلام المختلفة، يعمل على التعريف بوجه مشرق من أوجه السياحة الثقافية في اليمن، إضافة إلى أنها في بيت الموروث الشعبي بصدد توثيق تقاليد الحجيج كتابياً وصوتياً ومرئياً ليكون مرجعاً للمهتمين والدارسين، وكذلك العمل على نشرها في وسائل الإعلام المختلفة، منوهة إلى أن المهرجان الذي سيقام على مسرح الهواء الطلق بصنعاء القديمة مطلع شهر ذي الحجة سيعمل على التعرف عن قرب على الحالة التي يعكسها ذهاب الحاج على أفراد اسرته، فيما سيتم تنصيب المداره

(جمع مدرهة) حسب طقوس صنعاء القديمة للتعرف على تراثها، مثل الاشعار التي تقال اثناء التدره، كما سيتضمن المهرجان معرضاً خاصاً لعرض أزياء الحاج بما يسمى «الجهاز» كتقليد متعارف عليه، إضافة إلى معارض خاصة بصور الحياة التقليدية لصنعاء القديمة ومعرض للملابس الشعبية والمطبخ الصنعاني وتوثيق تقاليد المدرهة بكل تفاصيلها، وإصدار كتيب، وسيدي وكاسيت، وفيديو خاص بهذا التقليد المتميز.

كما سيتم تنظيم مراسيم الاحتفال باستقبال الحجاج وبعودتهم من مكة وسيصاحب الاستقبال الانشاد الديني والموالد الدينية، التي تحتفل بالحاج، اضافة إلى تكريم كل من المتدرهين والمتدرهات الذين حافظوا على تراث المدرهة وتقاليد توديع واستقبال الحجيج لعقود من الزمن. وستقدم في المهرجان عدد من المحاضرات التي تجسد اهمية المهرجان من الناحية التقليدية والتراثية والحفاظ عليها.

الجدير ذكره ان تقليد المدرهة (الأرجوحة) يعود لفترات قديمة جداً حيث يعد تعبيراً عن فرحة الأهالي بعودة حجاجهم عقب تعرضهم للعديد من الصعاب والمخاطر خلال سفرهم لأداء فريضة الحج، كما تسمى مدرهة العودة حيث يستقبل الحاج بطقوس تبدو غريبة لكنها مُسلية وفرائحية، ومنها «المدرهة» التي تبدأ بعد عيد الأضحى بيومين أو ثلاثة أيام، بغرض تشويق الحاج للعودة إلى أهله ومحبيه، وذكره بالخير والدعاء له بالعودة سالماً، حيث توضع المدرهة في فناء منزل الحاج أو في فناء منزل احد جيرانه إذا لم يكن له فناء، ويوضع عليها شال أو عمامة يسمونها عمامة الحاج، الذي لم يأت بعد وتستمر بعد عودته شهرين أو ثلاثة أشهر يتجمع خلالها الجيران والأهل والأقارب والأصدقاء حول المدرهة وينشدون وقد علقوا عليها الناقوس: «يا مدرهة يا مدرهة.. مال صوتش (صوتك) واهي (منخفض)، قالت انا واهية وما حد كساني.. كسوتي رطلين حديد والخشب رُماني»، ثم يأتي شخص يدعى المُمدْرِه وله سمات المُسَبِّح، فينشد من ضمن ما ينشده:

«يا مبشر بالحج بشارتك بشارة.. هنيت لك يا حاجنا فزت بالغفراني.. زرت قبر المصطفى وتلمس الأركاني.. والصلاة والسلام على الرسول يا من سمع يصلي على النبي العدناني».

ومما يجدر ذكره أن رجل الأعمال يحيى علي الحباري -عضو مجلس الشورى- وحرصاً منه على إحياء هذا الموروث -الذي كاد ان يندثر- قد اعلن عن إقامة عدد من «المداره» في أحياء صنعاء القديمة وبعض احياء وبساتين صنعاء الجديدة والذي كان يعد من مظاهر الاحتفال التي تقام في العاصمة صنعاء وبعض المدن الرئيسية احتفاءً بالحجاج.. ابتداءً من ثاني ايام عيد الأضحى المبارك ولمدة عشرة أيام وتشترك في احيائها النساء في اوقات الصباح والعصر، بينما كان الرجال يشاركون في الأمسيات، حيث تم التنسيق والترتيب بين رجل الاعمال الحباري وجمعية المنشدين اليمنيين، وبعض المنشدات. وأقام نحو ١٤ مدرهة في عدد من احواش المنازل المعروفة والبساتين والساحات المحاطة بأسوار، وجاري الإعداد لانطلاقة هذه المداره في وقتها المحدد بعيداً عن مهرجان بيت الموروث الشعبي.

■ «إيلاف» - ٨ يناير ٢٠٠٥م

Withering tradition
Al-Madraha needs new life

By Mohammed Al-Qadhi
Yemen Times Staff

Al-Madraha, or the swing, is a folklore theater that Yemenis have invested to mark the very important religious occasion of the journey to Mekka to perform Hajj.

When someone declares his intention to go for this religious ritual, his family sets up the Madraha at the yard or his house or in an open space. It becomes a center of attraction for a variety of rituals throughout the pilgrimís journey-from departure to arrival

Activities including prayers, dancing, folk-songs particularly al-Madraha chants, animal slaughtering, gunshots and fireworks all bring life into the whole zone.

But such a tradition is withering away.

In an attempt to record this folklore audio visually which has lost its essence, the House of Folklore in collaboration with the Foundation of the Protection of Antiquities and Cultural Heritage recently organized the first Madraha Festival.

"The 3-day festival that wrapped up last Friday aims to revive the Madraha tradition and others associate rituals after they have died out in many parts of Yemen as well as introducing the Hajj traditions in Sanaía," said Arawa Abdu Othman, House of Folklore director.

Al-Madraha was usually made of the wood of solid trees like acacia, and its pillars are tied firmly by special ropes which were sometimes made of leather braids.

Decoration of the Madraha was an important tradition; initially it would be covered in ìhajj covering,î a dress similar to the pilgrimís uniform during pilgrimage. Then, children, men and women would swing according to a specific schedule as women and children swing in the morning and men from dusk to midnight.

It usually takes a pair to swing, one sitting while the other standing, singing some verses which have to be repeated by the swinger.

The songs associated to the Madraha rituals are usually chants full of emotions and sentiments that re-

flect the people feelings towards this occasion and the departure of the pilgrims.

It is a good occasion also for the people to show solidarity and rally even if emotionally with the families of the pilgrims which are usually overwhelmed with sadness to depart their loving ones, and have to wait for almost four months for them to come back home from Mecca.

Going for pilgrimage to Mecca was not an easy task, it was risky, arduous and tiring. People used to either ride camels or go sailing which used to take almost for months.

Therefore, people used to have some called al-Mubashir or good news carrier who is the first pilgrim to arrive from the Holy Land; he used to play an important role in communicating information from pilgrims who had not arrived yet to their relatives. If he brings good news about a pilgrim, then he would be rewarded handsomely by the concerned family.

The role of the al-Mubashir has diminished in this age of telecommunication technology and has become just live in our memory.

During the festival days, some people like Dr. Raufa Hassan, Ahmad al-Dhahbani and Ali Saleh al-Jamrah presented very beautiful memories on al-Madraha during their childhood.

Of course, there is a complete change since then where the al-Madraha rituals are withering away and becoming something of the past. But, the most important thing is the initiative taken by the House of Folklore which took individual initiative to bring this tradition back into the life and memory of the people, and also preserving this tradition through audio visual recordings.

The al-Madrah was not at all considered by the Sanaía Arab Cultural capital programs despite its importance in the public life of the Yemeni people, mainly in Sanaía. Despite the broad participation of local people as well as from the diplomatic community including the Japanese ambassador, the ministry of culture was almost absent from this event despite the fact that it should have been the main sponsor of the event.

■ «يمن تايمز» - ١٢ يناير ٢٠٠٥م

Festival to revive 'swinging' Hajj tradition

By Shane Bauer
Yemen Observer

SANA'A - From January 12-14 (Dhi Al-Qa'ada 2-4) the House of Folklore, in cooperation with the Antiquity Protection Establishment, will be holding a festival at the Bustan Al-Amri open-air theater in Old Sana'a aiming to familiarize Yemenis and foreigners with ancient rituals surrounding the Hajj pilgrimage.

The festival will include exhibitions of traditional life in Sana'a, traditional costumes, and the Sana'ani kitchen, but the focal point will be the "Madraha" swing, a uniquely Yemeni pre-Hajj custom, and the chants, songs and rituals that surrounded it.

The Madraha ceremony was once the most important custom in preparation for the pilgrimage to Mecca.

The tradition included animal sacrifices, gunfire, dancing, fireworks, prayer recitals, and special chants. In the time before airplanes existed and pilgrims either had to walk or ride camels or donkeys, this tradition served as a way for the family of the pilgrim to express their joy for his voyage and their anticipation of his return.

The journey would take between 3-6 months and the Yemeni travelers would face the dangers of crossing the rough, mountainous terrain on the way to Mecca. They would write their wills before they left and seek forgiveness and make amends with their family and neighbors.

The festival is part of the People's Heritage Plan, managed by the folklorist Arwa Abdu Othman, which aims to revive dying Yemeni traditions and maintain living ones.

According to Othman, the actual erection of the Madraha, or swing, was the most important custom in preparation for the pilgrimage. "When someone declared his or her intention to perform Hajj, their family, friends, and neighbors would build the swing in the yard of the pilgrim's house." Sometimes it would be set up for public view in an area called al-aqma.

The frame of the Madraha was usually made from solid trees such as acacia. Its columns were bound with the strongest ropes, called salb, that were often made of braided leather. They were sure to bind them tightly, as rupture was an ominous sign for the traveler. The building of the swing was usually

accompanied by a special chant:

Oh swing, serve well
Don't lose the ropes
Don't lose the 'salb' ropes
You are bearing the weight of a dear one.

At the beginning of Eid Al-Adha, the family would begin the customs of the swing's decoration, which would be accompanied by prayers, chants and ululations. On the first day it would be covered with a dress similar to the pilgrim's uniform during Hajj. On the second day, the covering would be changed to reflect the ordinary dress of the pilgrim, which usually included a man's turban and rifle or a woman's wedding dress and expensive jewelry as well as make-up, perfumes, traditional flowers, bells, and expensive incenses.

Once the swing was decorated, two separate gatherings would be held, one for men and one for women, where elders would give lectures on the Madraha tradition, describe the conditions of the pilgrimage, and special chants would recall the best memories of the pilgrim. Then, people would ride the Madraha according to a specific schedule, where women and children would swing in the morning and men from dusk to midnight. Swinging usually included at least two close family members, like a mother and a daughter or a husband a wife. One would sit while the other would push them while singing a verse to be repeated by the sitting swinger.

The Madraha tradition usually began at the beginning of the month of Dhu Al-Hajja and emotional rituals usually lasted for an entire month. "Preparations for departure, set-up of the Madraha and waiting for the pilgrim's return from Mecca, made up the pilgrimage process," says Othman.

Special chants were used for each of these stages and served as both educational and emotional outlets for all those participating. Unfortunately, many have been forgotten as the Madraha has lost its importance in Yemeni culture, but Othman hopes to bring them back. Of all of the chants that accompanied the pilgrim's family's rituals, most of which to be preformed at the Sana'a festival, the chants of departure had the strongest meaning, including this one:

Oh, Mohammed, Oh, Ali:
Fit the boats
Fit the sea and the ocean
For the journey of the pilgrims.

■ «يمن اوبزرفر» - ٨ يناير ٢٠٠٥م

The ancient pilgrim rite of Al-Madraha enjoys a revival

By Khalil Al-Buraihijan
Yemen Observer

SANA'A - The traditional pilgrim's rite of Al-Madraha was celebrated Wednesday in Old Sana'a as part of an attempt by the House of Folklore to revive the dying practices of Yemeni pilgrims, and as part of a wider attempt to preserve Yemen's cultural heritage.

The Madraha rite, consisting of friends, family members and neighbors constructing a rope and wooden swing for upcoming Hajj pilgrims and singing special songs before their departure to Mecca, was once quite common in Sana'a and other parts of Yemen, but has since fallen into decline.

Opening the festival, Arwa Abdu Othman, organizer of the festival said that such traditional celebrations are a vital part of Yemen's identity.

"Our dream of a House of Folklore has become reality," said Othman. "This house has tried hard to research the details of this tradition, Al-Madraha, that was about to die out. I hope that this festival will be held in every governorate, not only in Sana'a, to revive the traditions of the Yemeni pilgrims."

The event was attended by many businessmen and journalists, as well as Hussein Dhaifallah Al-Awadhi, Minister of Information, a noted supporter of traditional Yemeni culture.

"On behalf of Abdul-Qader Bajammal, the Prime Minister, I thank the organizers of this important festival that documents an important tradition of our cultural heritage and that familiarizes people with the richness of our folkloric heritage," said Awadhi, the guest of honor, in a speech marking the end of the first stage of the festival.

"This festival emphasizes the greatness of Sana'a. However, a year, a decade, or a century will not be enough to explore the heritage of this unique city."

The government pays a lot of attention to Yemen's culture, said Al-Awadhi, who demanded that NGOs, and foreign embassies support Yemen's cultural heritage, as it is a source of pride not only to the Yemeni people but to all humanity.

The minister also gave special thanks to Arwa Abdu Othman for organizing the festival, saying that she proved that the responsibility for reviving Yemen's heritage should not be the responsibility of government alone.

"Those who bear such responsibilities are the real patriots, as they make every effort and direct all attention to preserving their heritage that was about to die out and to be forgotten," he said, also thanking all the participants in the Festival of Al-Madraha, and especially Taqqia Al-Tawilia who sung the Al-Madraha song at the conclusion of the first day of the festival.

■ «يمن اوبزرفر» – ١٥ يناير ٢٠٠٥م

الجزء الرابع:

الوثائق والصور

قصيدة

المدرهــة * (حميني)

كلماتها ولحنها: من التراث الصنعاني

ووزنها: من مجزوء الرّجز **

شـــا ابدع بقـــولي في الإله	الـــواحـــــــــــد المنــان
واثـنـي بـقـــــولي فـي الـنـبـي	الـهــــاشـــمي الـعـــدناني
واثـلـث بـقــــولي فـي عـلـي	ذي حـــــطـــم الأوثـــــان
شـــابـدع بـالي صف الـنـجـــوم	وآســــامـــر الـهـــــلالي
واســامـــر الحــوت في الـبـحــار	والـطـيـــــر فـي الأوكـــــار
بـدعـت بـش يـالـفـــــاتحـــــة	يـاخــــــيــــرة الأســـامي
وقـــــــد طـلـعـت المـدرهـــة	وفـي حـــفـــاظ رحـــمـــان
وفـي حـــفـــاظ واحـــد كـــريم	هـو قـط مـــا يـنـســــــاني
وقـــــــد طـلـعـت المـدرهـــة	ذي صـــوتـهـــا شـــجـــاني
ذي صـــوتـهـــا شـجـى الجـبـــال	ورعـــــــــدل الـــوديــان

* تنشد في مناسبات توديع واستقبال الحجّاج عند رجوعهم من الحج وهي من العادات الاجتماعية القديمة التي كادت أن تنتهي إلا في بعض المناطق في صنعاء وما حولها، وتعتبر المدرهة من اهم واجمل العادات والتقاليد في بلادنا، ففي موسم الحج يستمتع الناس كل مساء بقضاء أجمل الأوقات في حدائق المنازل «الحوي» وهم يستمعون إلى الاصوات المتعددة الألون وهي تغرد للحجيج «تُدره» حتى يعودوا من مكة، وتلبس المدرهة بملابس الحاج سواء كان رجلاً أو إمرأة وتختلف العادات والتقاليد من منطقة لاخرى ففي بعض المدن ومنها الروضة يحتفي اهلها باجمل الليالي ويمرحون ويلبس بعضهم ثياباً تنكرية ويقومون بعمل ادوار فكاهية لإمتاع الآخرين، وتسمى المدرهة «سابرة» وللأسف فهذه العادات بدأت تختفي ولا تلقى اهتماماً إلاّ من القليل، وأخص منهم أخي العزيز الشيخ/ محمد محسن الأكوع رعاه الله.. فهو من المغرمين بالمدرهة، ولأجلها يُعد مكبرات الصوت وكاميرات التصوير الفيديو والفوتغراف لغرض التوثيق، وللمدرهة أوقات معينة للاولاد والنساء أثناء الصباح وبعد الظهر وللرجال وقت الليل بأكمله، ويزداد استمتاع الناس بهذه العادة في أيام عيد الأضحى المبارك.

** من كتاب «روائع شعر النشيد الصنعاني»، جمع وإعداد/ علي بن محسن الأكوع – رئيس جمعية المنشدين اليمنيين.

يا المدرهة يا المدرهة … من ركبش عشيّة
من ركبش على القمر … والشمعة المضية
يالمدرهة يالمدرهة … وما لصوتش واهي
وقالت أني واهية … وما احدن كساني
وكسوتي رطلين حديد … لا.. والخشب رماني
قد جيت ادره واعتني … لا.. من بلاد بعيدة
لا.. من بلاد خلف الجبال … ياليتها قريبة
قد جيت ادره معتني … في حنجك يالغالي
في حنجك ياحجنا … ياطلعة الهلالي
ويا لمن ذا المدرهة … ويا لمن ذا المدراه
لا.. هي لدولة أو لمن … لا.. او لحاكم حكام
لا.. أو لقارى في الكتب … لا.. او لخط الأقلام
لا.. ما ندره ما نقول؟ … لا.. في الحجيج الغالي
لا.. فيك ياسيد الرجال … ويا كحيل الأعيان
لا.. فيك يا نقس النبات … ويا دوا للأسقام
لا.. فيك ياظبي الخلا … يابو الغريف لاجا
لو تبسروا ياحاضرين … كيف خرجة الحجاج
لو تبسروا ياحاضرين … حين قال مع السلامة
لا.. والمسبح قام وصاح … وشل بالجلالة
صر المكان من وحشته … ودمعوا جهاله
لو تبسروا ياحاضرين … حين قامت الطيارة
أحسيت قلبي حين رجف … لا.. والدموع سياله
لا.. ياحجار المدرهة … ويا ثلاث ويا اربع
وما توصاش حجنا … وما توصاش ما قال؟
وهو توصاش في العيال … وفي الزراعه والمال
لا.. ياحجاب الله حجاب … وداعتك في الحجاج

لا .. واحـفظ الحـجاج جـمـيع   من مـــيـــد رأس مـــالي
يـا هـل عـلـمـي يـا اخـــوتـي   ومـــالـقـلـبي غـــاثـي !
مـــا بش خـــبـــر من حـــجـنـا   ومـــا رزتـش أكـــبـــادي
او يـاحـــمـــامـــة عـــرفـــة   وحــــومـي وحـــــومـي
لا .. واطـلـعـي رأس الجـــبـــل   واحـــــــذرش تـنـومـي
لا واعـــرفي لـي حـــجـنـا   وهـو دقـــيـق خـــضـــراني
لا واعـرفي لي عُـصـيـتـه   هي شـــوحـط أو رمـــانِ
لا واعـــرفي لي حـلـقـتـه   وهـي عـــقـــيـق يمـاني
لا واعـــرفي لي دكـعـتـه   هي دسـعـة الحـمـامي
لا واعـــرفي لي مـصـنـفـه   وهـو حـــريـر ذهـبـــاني
ويـا طــريـق مـكـه طـريـق   لا وازرعـي رمـــــاني
لا وازرعي لـيـمـــون ولـيـم   لحــــــجـنـا يـطـفـي
يـاحــــجّـنـا يـاحـــجّـنـا   لا .. واين قـدك وأين عـادك
قـــال عـــادنـا وسط الحـــرم   وملـتـــوي لـزمـــزم
لـو تـبـــســــرونـا يـا اهـلـنـا   يوم الوقـوف مــا ارحـمنـا
مـــخـلـسين باجـسـامـنـا   وربـــنـا يـــنـظـــرنـا
او يـاحـــمـامي يـارقـــشي   وبـرقـش الـريـشـــاني
وشـل لـي ذيـه الـكـتـــاب   لا .. في جـنـاحـك واغـــريـه
ووصـلـه يـد حـــجـــنـا   يفـــتـــشـــه ويـقـــراه
فـي اولـه مـنـي ســـلام   وآخـــره تـعـــتـــاب
إذا ســـأل كـــيـف حـــالـنـا   قـل سـلـم الـلـه حـــالـك
او يـامـــقـــهـــوي في منى   قـــوم الـقـف الحـجّـاج
قـوم القف الحجاج جـمـيع   لا .. قــاصـيـــاً وداني
ولـقـم الـدلـة عـــســـل   وبـخــر الصـــيـــاني
هنيت لـلحـجـاج جـمـيع   حين عــيــدهم في مكة
حين عـــيـدهم وسط الحـــرم   وشـــاربـين من زمـــزم

يا حــجّنا شــد الرحــال وارحــل إلــى المــديــنــة
وزور قـــبـــر المصطفى وزور بقـــيع الغـــرقـــد
من زار خــيــر المرسلين يســتــوجب الشــفــاعــة
يا حـــجنا يا حـــجّنا الله يعــيــدك ســالم
تعــود لنا مــثل الرعــود مــثل الســحــايب الســود
ياحـــجنا أو ياشليل وزيـد الـهـــديـه
وادي هــدايــا لــلــبــنــات لا.. عــقــد عــقــد مــرجــان
وادي هدايا للعــيــال لا.. حــوليــات وشــيــلان
ياحـــجنا يا حـــجّنا الشــل وانت مــالي
قــد المكالف مــشــجنات وابنك حــســين مــراعي
ياحـــجّنا او ياشليل قـــوم اقطب الشّـــدادي
وقل لطيــبــه خــاطرش شــاســيــر لي بلادي
شــاســيــر لي بين اخــوتي وبين زرع أكــبــادي
او يا مــبــشــر بالحــجيج بشــارتك بشــاره
بشــارتك دار الوصــول وتلحــقــه شــراره
بشــارتك بيــر العــزب وتلحق الجــبــانه
بشــارتك ســوق العنب وتــلــحــق المــعــطــاره
او يا مــبــشــر بالحــجيج بشــارتك من عــيــني
بشــارتك حلقــة يدي والقــرش اللّي في جــيــبي
ويا اخــو الحــاج الكبــير قــوم احــتــزم والقى اخــوك
قــوم القــفــه لقــفــة ملك لا.. واضــرب الطيــســان
لا.. واذبح الثــور الكبــير لا.. واكــرم الضّــيــفــان
لا.. وافــرش الديوان ســوى ووضّــع المــداكــي
لا.. وقطف اغــصــان الشــذاب لا. واكسر البيض في البــاب
ثم الصــلاه تغــشــى النّبي الهــاشــمي العــدنانِ
وآلهِ الأخــيــار جــمــيع وصــحــبــهِ الفــتــيــانِ

امتنان

الشكر الجزيل للأخت أروى عبده عثمان على الجهود والإهتمام في حفظ وتجميع وإحياء الموروث الشعبي في كل الوانه، خاصة واليمن غنية بهذا الموروث.

واليوم نحتفل بمهرجان المدرهة، نسجل موقفاً رائعاً للعاملين.

مع شكري..

محمد عبده سعيد

رائع

عمل جميل ومبادرة رائعة والطريق طويل، لكن الألف ميل تبدأ بخطوة، والعجلة ستستمر.

الف مبروك على نجاح التجربة، وعندي أمل أن نستمر كل عام في مهرجان الذاكرة قبل أن يغيبها النسيان.

مع تقديري،،

د. رؤوفة حسن

رئيس مؤسسة تخطيط برامج التنمية الثقافية

لا ينسى

لا أنسى هذا المهرجان الرائع.. ألف شكر للأخت أروى وصاحباتها.

الانثروبولوجية الامريكية/ نجوى عدره

لوحة

إحياء مهرجان المدرهة الأول استطاع أن يعيد للناس ذاكرة الموروث ونجح نجاحاً غير متوقع.. انه مجهود يقف الإنسان أمامه باحترام وإجلال.

إن الفعالية ككل لوحة تشكيلية صنعتها أروى عبده عثمان وفريقها الرائع.

الفنان التشكيلي/ عبدالله المجاهد

حفر

مهرجان المدرهة الأول.. هو حفر عمودي في ذاكرة ووجدان الطفولة الأولى، وترميم للمساحات المنهكة والمتآكلة داخل الانسان الكهل.

هي نقطة مضيئة جديرة بالاجلال والتقدير لكل من أسهم في رسم ملامح هذه اللوحة الاستثنائية المتوهجة في زمن العتمة والظلام.

تحية تقدير ومحبة لبيت الموروث الشعبي الذي أستطاع أن يخرج المدينة القديمة من عتمتها النائمة في أعطاف الزمن المترمد.

تحية للاستاذة أروى عبده عثمان وكل الطاقم المحيط بها الذي صنع هذا البهاء..

الشاعر والناقد / سلطان عزعزي

(.......)

لا شيء سوى كينونتنا حين نكون نحن في بدائيتنا المستقبلية..

فتحي فاطمة

الأفضل

خلال صنعاء عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٤م مهرجان «المدرهة» أفضل فعالية أقيمت للموروث الشعبي.

وهيب النصاري

تحية

مهرجان المدرهة الأول.. عمل جميل في وسط معمعة الضوضاء التي نعيشها.

لكم التقدير.. ومن عمل جميل إلى آخر أجمل.

إلهام الكبسي

رائحة

التراث بعبقه وجماله ورائحة قهوة القشر وصوت المدرهة وهدايا الحج.. كل ذلك أثاره مهرجان المدرهة.. وبهذا أشكر جزيل الشكر بيت الموروث (أروى عبده عثمان) لإثارة ذلك.

بلقيس اللهبي

بيت الموروث يشكر جميع هؤلاء الأجلاء

يشكر بيت الموروث الشعبي طاقم العمل في مهرجان المدرهة الأول بصنعاء ومجموعة من الاساتذة الذين اسهموا بدعمهم المادي والمعنوي في انجاح المهرجان.. وهم:

- الاستاذ محمد عبده سعيد
- الاستاذة هدى الشرفي
- الاستاذ عبدالوهاب ثابت
- الاستاذ حسين العواضي (وزير الاعلام)
- القاضي علي أبو الرجال
- الاستاذ يحيى محمد عبدالله صالح
- د. محمد النود

ومن طاقم العمل:

- الاستاذ سعيد عبدالفتاح المسني
- الاستاذ عبدالقادر الشيباني
- الاستاذة انيسة الحبيشي

ومن الطاقم الاعلامي:

- فاطمة مطهر
- سمية غازي
- اشواق بكرين

ومن المتعاونين:

- عائلة العقيد احمد علي القليسي
- الاخت نورية جسار
- الاخ يحيي محمد الطويل
- السيدة بولدي (حرم السفير الايطالي)
- السيدة سوزان (حرم السفير المصري)
- الاستاذ احمد الحاج
- ماجدة صنعاني
- وفاق محمد قاسم
- أمة الباري العاضي
- الجمعيات المشاركة وكافة المتدرهين والمتدرهات الذين حافظوا على تراث وتقاليد صنعاء الحبيبة.

ومن الزملاء والاستاتذة المحاضرين:

- الدكتورة رؤوفة حسن
- الاستاذ احمد الذهباني
- الاستاذ علي صالح الجمرة

ومحررو نشرة المدرهة وكتابها:

- منصور هائل
- طارق السامعي
- فارس غانم
- عبده سيف الأصبحي
- فائز عبده
- عبدالحكيم الصبري

والفنانون:

- عبدالرحمن الغابري
- عبدالباري جميل
- عبدالله المجاهد (مُصمم ملصق المهرجان)

والأخوة:

- أحمد غنيمة
- عبدالمنعم غنيمة
- رامي عقربي (موثق فعاليات المهرجان التلفزيونية)

وجميع الاعلاميين من صحافيين ومراسلي الصحف والقنوات الفضائية:

- أ. حمود منصر (قناة العربية)
- عادل الحبابي (قناة أبوظبي)
- عبدالله اسماعيل (تلفزيون الكويت)
- أوسان قعطبي (تلفزيون العالم)

ولكافة الصحف اليمنية والعربية التي تناولت الحدث وخصوصاً صحيفة «الثورة» لتغطيتها فعاليات المهرجان، وأيضاً قناة «٢٢ مايو».

وجميع البسطاء الذين تفاعلوا مع المهرجان كفكرة، ثم كعمل في الميدان وقيمة فكرية تراثية متصلة بكتاب السفر الانساني اليمني في أهم محطاته.

الشهادات التقديرية للمتدرهين والمتدرهات

١- نجاح احمد «ثابتة»
٢- تقية الطويلية
٣- حليمة الدنمة
٤- احمد طاهر اللداني
٥- لطيفة عبدالله الضيقي
٦- عبدالله يحيى عصبة
٧- يحيى المحفدي
٨- عبدالرحمن مداعس
٩-حمود السريحي
١٠- عبدالله حسين الحمامي
١١- محمد البصير
١٢-محمد حسن الأكوع
١٣- علي حمادي عصبة
١٤- محمد بن محمد سعد
١٥-يحيى محمد الرعوي
١٦-مهدي احمد العلافة
١٧- خيرية حسين البوسي
١٨- ثابتة البوسي
١٩- حورية بنت احمد الحديد
٢٠- صالح شبيل
٢١- مهدي حسين الضبي
٢٢- سعادة علوان
٢٣- محمد الدب عصبة
٢٤- مهدي حسين العراسي
٢٥- حسين صالح العراسي
٢٦- محمد صالح العراسي
٢٧- علي محمد العراسي
٢٨-محمد علي الرعوي
٢٩- علي العمري
٣٠- سعدية جارالله
٣١- مريم صالح العراسي
٣٢- خيرية صالح العراسي
٣٣- حورية احمد جار الله
٣٤- مهدية صالح العراسي
٣٥- عتيقة عبدالله المهدي
٣٦- حسين عبدالله الحبابي
٣٧- حمود عبدالله الحبابي
٣٨- عبدالله غنيمة
٣٩- احمد الشعباني
٤٠- احمد احمد غنيمة
٤١- عبدالمنعم غنيمة

اسماء المكرمين الموزع لهم شهادات تقدير

- القاضي/ علي ابو الرجال
- العقيد/ احمد علي القليسي وعائلته
- نورية جسار
- ابراهيم بعثر
- يحيى الكدس وعائلته
- يحيى الطويل
- فاطمة مطهر
- أشواق بكرين
- سُمَيّة غازي
- عبدالله المجاهد
- عبدالرحمن الغابري
- عبدالباري جميل
- بدر الدين الحيمي
- احمد الحاج
- محمد عبدالرحمن قاسم
- حورية عبدالله

اسماء الجمعيات المكرمات

- جمعية الحرف اليدوية
- مكتبة الطاؤوس
- احمد مطهر حجر
- صباح سعيد
- مركز تنمية المرأة
- جمعية الإيثار النسوية الاجتماعية
- جمعية التحدي لرعاية المعاقات
- جمعية مسيك
- جمعية التكامل للتنمية
- الجمعية النسوية لتأهيل ورعاية المرأة والطفل

مشـــروع
(مهرجان المدرهة الأول)
«للذاكرة الآتي»

أسم المشروع: مهرجان المدرهة.
الجهة المقدمة للمشروع: بيت الموروث الشعبي.
النطاق المكاني: صنعاء القديمة مسرح الهواء الطلق.
النطاق الزماني: من ٢ - ٣ ذي الحجة الموافق ١٢- ١٥ يناير ,٢٠٠٥
الهدف العام: مهرجان المدرهة، تقاليد الحجيج في اليمن، وعلى وجه الخصوص صنعاء.

الهدف الخاص:

(١) التعرف على تقاليد الحجيج في اليمن، خصوصاً مدينة صنعاء.
(٢) إحياء تقاليد المدرهة، والمغارد المتنوعة، بعد أن انقرضت في كثير من مناطق اليمن.
(٣) تحفيز الرأي العام المحلي والخارجي بضرورة الاهتمام بالموروث الشعبي الغني في بلادنا.
(٤) الكشف عن وجه من أوجه الإبداع الإنساني/ الشعبي من خلال الغناء والإنشاد أثناء التدره.
(٥) نشر موروثنا الشعبي عبر وسائل الإعلام المختلفة، ليتعرف الداخل والخارج عن أوجه السياحة الثقافية في بلادنا.
(٦) توثيق تقاليد الحجيج كتابياً، صوتياً ومرئياً، ليكون مرجعاً للمهتمين والدارسين، وكذلك نشره في وسائل الإعلام.

التعريف بالبيت:

هو كيان ثقافي/ بحثي غير حكومي يهدف إلى جمع وتوثيق الموروث الشعبي الروحي والمادي، وإجراء الدراسات والأبحاث بالطرق المنهجية، ولا يهدف إلى الربح المادي. وقد تأسس في ١١إبريل ٢٠٠٤ بتصريح رقم ٢٣ لسنة ٢٠٠٤ م الصادر من وزارة الثقافة.

وصف المشروع:

- مهرجان المدرهة.. سيكون تقليداً سنوياً، لإحياء تقاليد المداره والحجيج، بعد أن أنقرض هذا التقليد في أغلب المناطق اليمنة، وإن وجد فإنه يمارس على نطاق محدود للغاية.

- سيدشن مهرجان المدرهة ابتداءً من أول ذي الحجة - ٣ ذي الحجة.
- التعرف على استعدادات الحاج لأداء مناسك الحج، ثم سفره، وعند عودته.
- التعرف على الحالة التي يعكسها ذهاب الحاج/ الحاجة على كل أفراد الأسرة.
- سيتم تنصيب المداره حسب طقوس صنعاء، للتعرف على تراثها، مثل الأشعار التي تقال أثناء التدره.
- ستقوم إدارة المهرجان بعمل معرض يضم أزياء الحاج/ الحاجة بما يسمى (الجهاز) كتقليد متعارف بتنصيب ملابس الحجاج على المداره.
- سيكون تنصيب المداره في مسرح الهواء الطلق في صنعاء القديمة كونه يتسع لفعاليات المهرجان.
- في الاختتام ستقام حفلات استقبال الحجاج ابتهاجاً بعودتهم من مكة وسيصاحب الاستقبال الإنشاد الديني، والموالد الدينية، التي تحتفل بالحاج/ الحاجة، ثم عرض للأطباق الشعبية، والتي ستكون مسك الختام.

في الجانب الآخر سينظم المهرجان أربع محاضرات عن:
(١) تقاليد الحجيج في اليمن.
(٢) المدرهة في ذاكرة مدينة صنعاء.
(٣) المدرهة في ذاكرة حاج.
(٤) المدرهة في ذاكرة حاجة.

أهمية المشروع:

يعد مهرجان المدرهة ليس فقط أنه يتناول الجانب التوثيقي، بل وسيكون بمثابة احتفالية ثقافية متنوعة، كونه سيحيي ذاكرة هذا التقليد الهام الذي سيتزامن مع موسم الحج، ولأن إحياءه سيمكن جهات الاختصاص من الالتفاتة نحو هذا الطقس الجميل وضرورة المحافظة عليه.

مراحل التنفيذ:

- مرحلة المسح الشامل لبيوتات صنعاء وأحواشها لمعرفة الخلفية التاريخية، والاجتماعية للمدرهة، وتقاليد الحجيج ككل.
- مرحلة التواصل والتنسيق مع الجهات المعنية بالشأن الثقافي في صنعاء.
- مرحلة صنع، و تنصيب المداره.
- مرحلة إعداد المعرض للصور، والملابس الشعبية، والأطعمة الشعبية.
- مرحلة توثيق تقاليد المدرهة، بكل تفاصيلها.
- إصدارها في كتيب، وسيدي، وكاسيت، وفيديو، وسلايت.

- بوفيه من أنواع الأطعمة الشعبية، وعلى وجه الخصوص الصنعانية
- توزيع شهادات تقديرية للإخباريين، وكل من ساهم بإنجاح المهرجان، مع هدايا بسيطة.

برنامج الفعاليات

■ فعاليات اليوم الأول ٢ ذي الحجة:

حفل الافتتاح

يبدأ بممارسة التدره، وأنماط الإنشاد/ المغارد التي تقال أثناء التدره.

ستكون المغارد مشتركة بين الرجال والأطفال، والنساء - لفترة وجيزة -- بعد ذلك ستخصص الأوقات لتدره الرجال في المساء، والنساء والأطفال في الصباح حسب تقاليد المدرهة. يلي ذلك افتتاح معرض الصور، ثم افتتاح معرض الملابس الشعبية، وأخيراً افتتاح جناح المأكولات الشعبية.

■ اليوم الثاني ٣ ذي الحجة:

سيواصل الأفراد التدره.

ستعقد المحاضرتان في الخيمة المعدة لهذا الغرض.

ثم المحاضرة الثالثة، وهي عبارة عن لقاء مع حاج/ وحاجة يسردان ذكرياتهما عن الحجيج، وطقوس المدرهة.

■ اليوم الثالث ٤ ذي الحجة:

سيواصل الأفراد التدره، وسيبدأ حفل استقبال الحاج بعد عودته من الأراضي المقدسة، وستتم الاحتفالات بالأغاني والأهازيج الشعبية، والإنشاد... الخ.

ثم حفل لاختتام، وتوزيع الهدايا والتذكارات للمشاركين في المهرجان.

مخرجات النشاط:

- توثيق بالصور، توثيق بالفيديو، توثيق صوتي، توثيق كتابي، سلايت.

أقسام النشاط:

- مهرجان ومحاضرات.
- معرض أزياء شعبية نسائية/ رجالية بالمستلزمات من: (مصوغات، و «جهاز» الحاج).
- معرض الصور: عن صنعاء قديماً، وعن الحياة اليومية.
- معرض للأطعمة الشعبية: يحوي الأكلات الشعبية الصنعانية، والمشروبات التقليدية لصنعاء أيضاً.

بيت الموروث الشعبي «للذاكرة الآتي»

هو كيان ثقافي/ بحثي غير حكومي يعنى بجمع وتدوين وتوثيق الموروث الشعبي اليمني الروحي والمادي، وإجراء التحليل والدراسات بالطرق المنهجية العلمية الصحيحة.

تأسس في ١١ ابريل ٢٠٠٤م الموافق ٢٩ صفر ١٤٢٥هـ بتصريح رقم ٢٣ من وزارة الثقافة.

■ أقسام البيت:

ينقسم البيت الى عدة أقسام، وهي كالتالي:

١- الإدارة الفنية: مهمتها تفعيل نشاط البيت الثقافي والبحثي، وإجراء التواصل مع المراكز والجهات ذات العلاقة.

٢- المكتبة الفلكلورية: وهي نواة لمكتبة كبيرة في المستقبل، تحتوي على الكتب والدوريات الخاصة بالفلكلور المحلي والعربي والأجنبي، بالاضافة الى أرشيف صوتي، وأرشيف فوتوغرافي، وأرشيف تليفزيوني.

٣- وحدة الجمع والتدوين والتوثيق: وهي وحدة يتم فيها جمع وتدوين الموروث الشفاهي من أفواه المسنين، بالاضافة الى طرق توثيقه.

٤- المتحف الصغير: ويضم العديد من المقتنيات وينقسم الى:

أ) المطبخ الشعبي: وهو مطبخ يحوي العديد من المطابخ (الأصعاد) والتناوير المتداولة في بعض مناطق اليمن، بالإضافة الى بعض الحبوب التي تزرع في اليمن وتدخل في إعداد المأكولات اليمنية.

ب) الأزياء الشعبية رجالية/ نسائية/ أطفال، لبعض مناطق من اليمن، فمنها ما يستخدم للمناسبات الاجتماعية، ومنها ما يستخدم في الحياة اليومية، كذلك توجد مجموعة من أغطية الرأس المختلفة، وبعض المصوغات التي تستخدمها المرأة في العرس، والمناسبات الاجتماعية والدينية. بالإضافة الى بعض الاعشاب والأصباغ التي تدخل من ضمن زينة المرأة، وتستخدمها أيضاً في التطبيب الشعبي، وطرد الجن والأرواح الشريرة.

جـ) الصور المكبرة والملصقة التي تتناول الحياة الشعبية اليومية للإنسان اليمني.

■ أهداف البيت:

١ - توثيق التراث الشعبي، وخصوصاً التراث الشفاهي أو الأدب الشعبي كألوان الغناء الشعبي، الحكايات، الأمثال، النكت، الألغاز، السير والأساطير الشعبية... الخ.
٢ - توثيق العادات والتقاليد الشعبية كتقاليد دورة الحياة، وتقاليد الزراعة، والمناسبات الاجتماعية والدينية... الخ.
٣ - توثيق المعتقدات والمعارف الشعبية كالمعتقدات الخاصة بالسحر والأحلام، وأضرحة أولياء الله الصالحين... الخ.
٤ - توثيق التراث المادي؛ كالأزياء الشعبية، والمصوغات، وطرق الزينة، والنقوش، والوشم والألعاب الشعبية، والرسوم والفنون الشعبية... الخ.
٥ - الحفاظ على الهوية الوطنية باعتبارها ذاكرة الناس الجمعية.
٦ - خلق قاعدة شعبية ورأي عام بأهمية الموروث الشعبي، وحمايته وتطوير طرق المحافظة عليه، وإعداد الكوادر المؤهلة القادرة على التعامل مع الموروث الشعبي وقضاياه وإشكالياته.
٧ - إيجاد قاعدة معلوماتية وتصنيفية لأشكال الموروث الشعبي وجعلها في متناول الباحثين والدارسين.

مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي FPACH

مؤسسة غير ربحية، غير حكومية، ذات صفة رسمية وقانونية، تأسست في ٢٠٠١/٦/٢٠م طبقاً للقرار الوزاري رقم (٣) لسنة ٢٠٠١م الصادر من وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل.

قام بتأسيسها مجموعة من رجال الأعمال اليمنيين البارزين المهتمين بشؤون الآثار اليمنية وإحياء التراث الشعبي الثقافي اليمني.

■ أهداف المؤسسة:

١ - نشر الوعي الثقافي والتنبيه بأهمية ما تملكه اليمن من ثروات كبيرة من تراث ثقافي.
٢ - التنسيق مع المنظمات والجهات المحلية والدولية ذات العلاقة والمهتمة بحماية وصيانة التراث اليمني والمحافظة عليه.

(مهرجان المدرهة الأول) .. «للذاكرة الآتي»

مسرح الهواء الطلق «صنعاء القديمة»

بيت الموروث الشعبي بدعم مؤسسة حماية الآثار والتراث الثقافي

أهداف المهرجان:

(١) التعرف على تقاليد الحجيج في اليمن، خصوصاً مدينة صنعاء.

(٢) احياء تقاليد المدرهة، والمغارد المتنوعة، بعد ان انقرضت في كثير من مناطق اليمن.

(٣) تحفيز الراي العام المحلي والخارجي على الاهتمام بالموروث الشعبي الغني في بلادنا.

(٤) الكشف عن وجه من أوجه الابداع الانساني/ الشعبي من خلال الغناء والانشاد اثناء التدره.

(٥) نشر موروثنا الشعبي عبر وسائل الاعلام المختلفة، ليتعرف الداخل على أوجه السياحة الثقافية في بلادنا.

(٦) توثيق تقاليد الحجيج كتابياً، صوتياً، مرئياً ليكون مرجعاً للمهتمين والدارسين، وكذلك نشرها في وسائل الاعلام.

اشارات عن مهرجان المدرهة:

١- مهرجان المدرهة سيكون تقليداً سنوياً لإحياء تقاليد المداره والحجيج، بعد ان انقرضت هذه التقاليد في أغلب مناطق اليمن، وان وجدت فإنها تمارس على نطاق محدود.

٢- سيدشن مهرجان المدرهة ابتداءً من ٢ ذي الحجة.

٣- التعرف على استعدادات الحاج لأداء مناسك الحج، ثم سفره، وعند عودته.

٤- التعرف على الحاجة التي يعكسها ذهاب الحاج/ الحاجة على كل أفراد الأسرة.

٥- سيتم تنصيب المداره حسب طقوس صنعاء للتعرف على تراثها، مثل الأشعار التي تقال اثناء التدره.

٦- ستقوم ادارة المهرجان بعمل معرض يضم ازياء الحاج/ الحاجة بما يسمى (الجهاز) كتقليد متعارف بتنصيب ملابس الحاج على المداره أو ما تسمى (كسوة المدرهة).

٧- سيكون تنصيب المداره في مسرح الهواء الطلق - صنعاء القديمة كونه يتسع لفعاليات المهرجان.

٨- في الاختتام ستنظم مراسيم الاحتفال باستقبال الحجاج بعودتهم من مكة وسوف يصاحب الاستقبال الانشاد الديني، والموالد الدينية، التي تحتفل بالحاج/ الحاجة، ثم عرض للأطباق الشعبية، وسيكون مسك الختام، كما سيتم تكريم كل من المتدرهين والمتدرهات الذين حافظوا على تراث المدرهة وتقاليد الحجيج لعقود من الزمن.

وفي الاتجاه نفسه سينظم المهرجان اربع محاضرات:

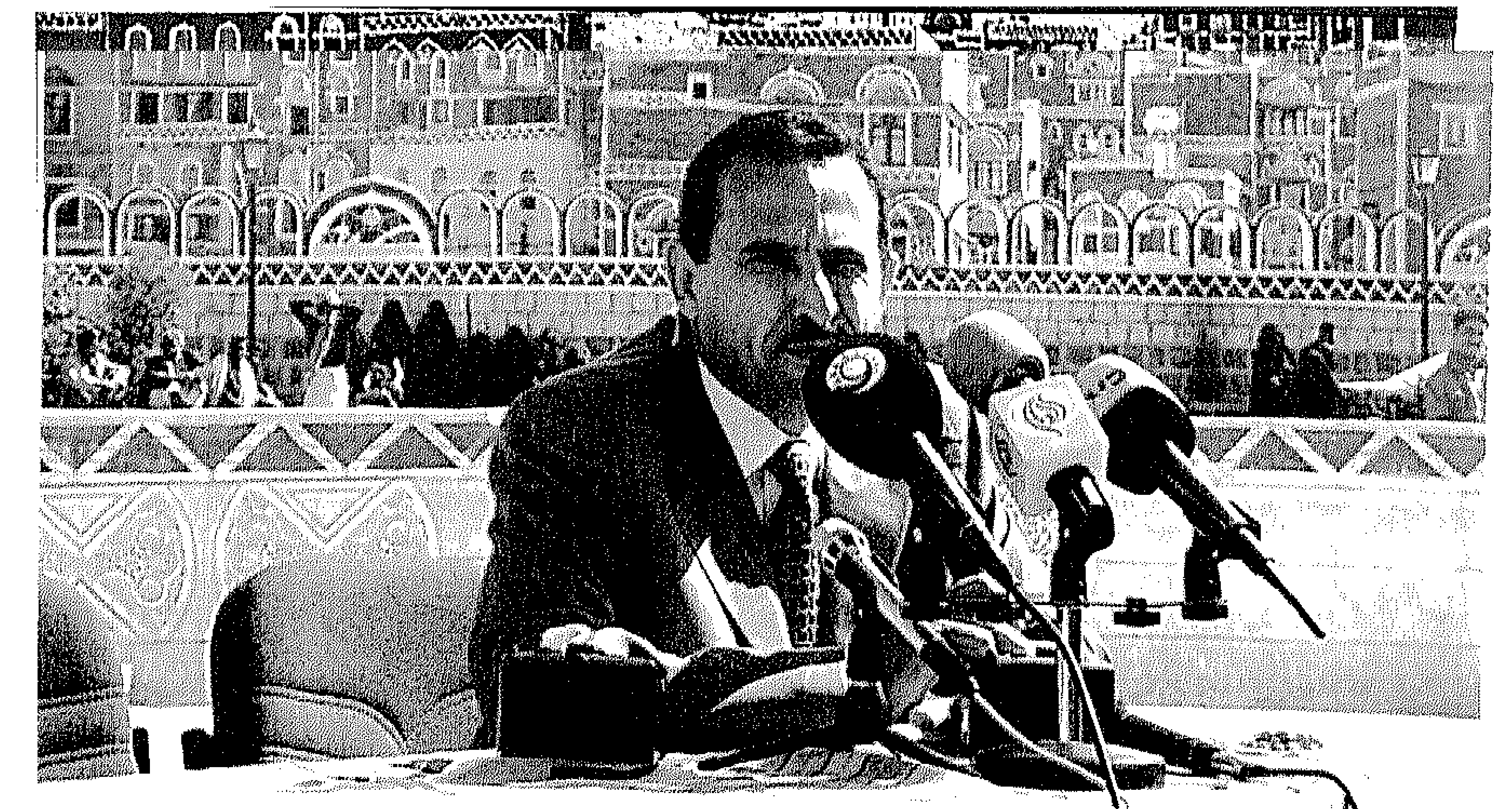
● الأولى بعنوان «إنطباعات حول تقاليد المدرهة»
  - الدكتورة/ رؤوفة حسن
  - الاستاذ/ احمد محمد الذهباني
● المحاضرة الثانية «المدرهة بين الشجي والشجن»
  - الاستاذ علي صالح الجمرة
● المحاضرة الثالثة «المدرهة في الذاكرة الشعبية»
  - الاستاذ يحيى محمد المحفدي
  - الأخت حميدة عبدالله سعيد الحبابي

أهمية المهرجان:

لن ينحصر الهدف من مهرجان المدرهة على الجانب التوثيقي فقط، بل سيكون بمثابة احتفالية ثقافية متنوعة، ترمي الى إحياء ذاكرة هذا التقليد الهام الذي سيتزامن مع موسم الحج ولأن إحياءه سيمكن جهات الاختصاص من الالتفاتة نحو هذا الطقس الجميل وضرورة المحافظة عليه.

مراحل التنفيذ:

- مرحلة المسح الشامل لبيوتات صنعاء واحواشها لمعرفة الخلفية التاريخية، الاجتماعية للمدرهة، وتقاليد الحجيج ككل.
- مرحلة التواصل والتنسيق مع الجهات المعنية بالشان الثقافي في صنعاء.
- مرحلة صنع وتنصيب المداره.
- مرحلة إعداد المعارض:
  ١- معرض صور الحياة التقليدية لصنعاء.
  ٢- معرض الملابس الشعبية.
  ٣- المطبخ الصنعاني.
- مرحلة توثيق تقاليد المدرهة بكل تفاصيلها.
- إصدارها في كتيب، وسيدي، وكاسيت، وفيديو، وسلايد.
- اقامة مهرجان للتسوق يتزامن مع أيام الفعالية.
- توزيع شهادات تقديرية للاخباريين والمدرهين، وكل من ساهم في انجاح المهرجان.



• أ. حسين العواضي -وزير لاعلام- يلقي كلمة الحفل



• جانب من الحضور



• المداره وكسوة الحاج والحاجة



• الاستاذة هدى الشرفي



• الاستاذ القاضي علي أبو الرجال -رئيس مركز الوثائق- وإلى جانبه الفنانة القديرة تقية الطويلية

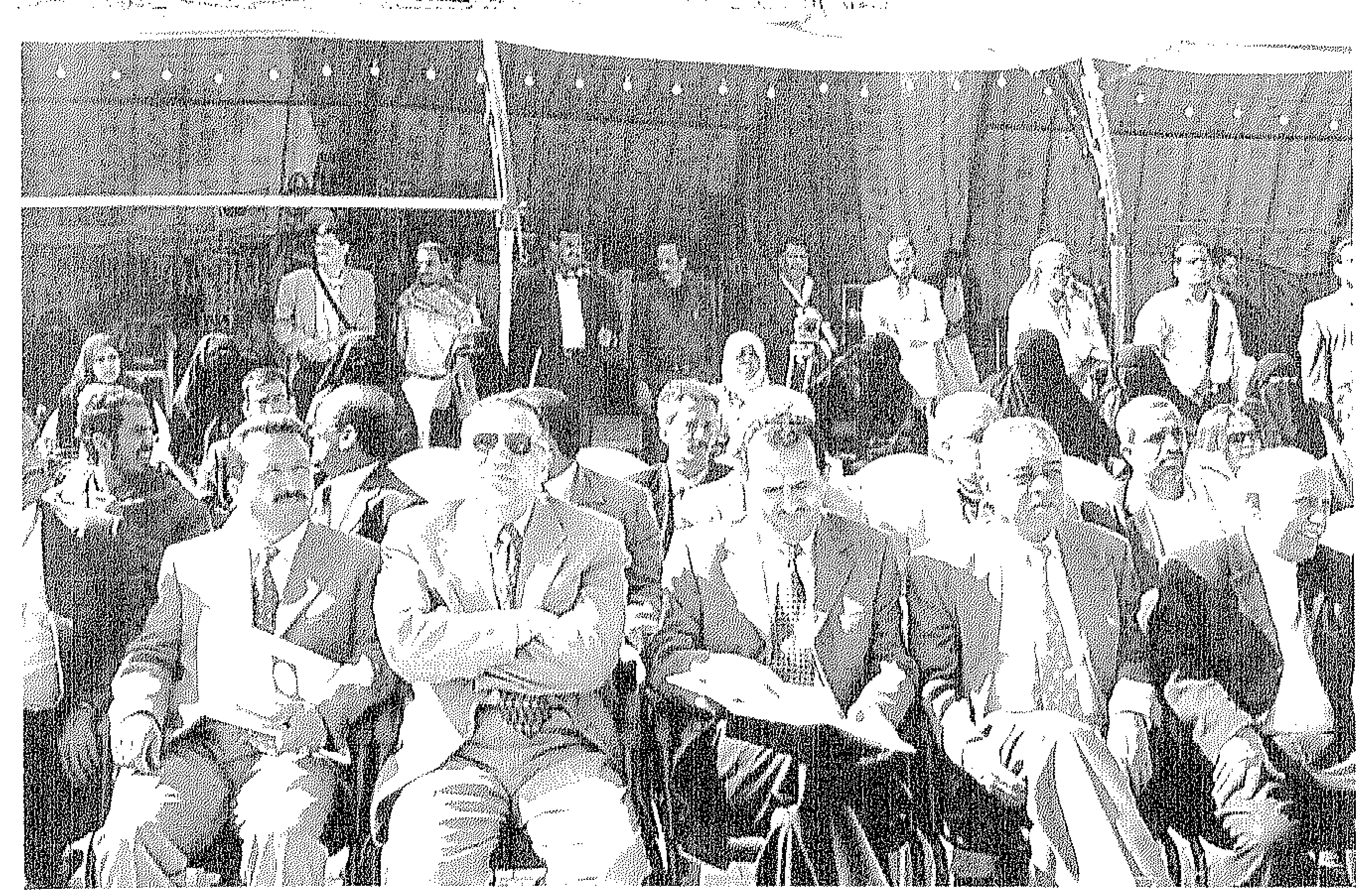


• إحدى المداره

• المحاضران: د. رؤفة حسن - أ. أحمد الذهباني
والى جانبهما المدره علي محمد القرية - أحمد غنيمة

• المدره العمري يشدو بتغاريد المدرهة


• جانب من الحضور



• جانب من الحضور

• إحدى المداره



• وزير الاعلام الأستاذ حسين العواضي يتدره مع المدره أحمد غنيمة


• متدرهات

• الفنانة القديرة تقية الطويلية تشدو بتغاريد المدرهة

• مقدمة الحفل أ. بلقيس اللهبي

• مدرهتان





• مشاركة الجمعيات النسائية للصناعات التقليدية

• حاملة القهوة

• من المطبخ الصنعاني: عمل اللحوح

• خبز القفوع



• المولد الرجالي: المنشدون
حفل استقبال الحاج

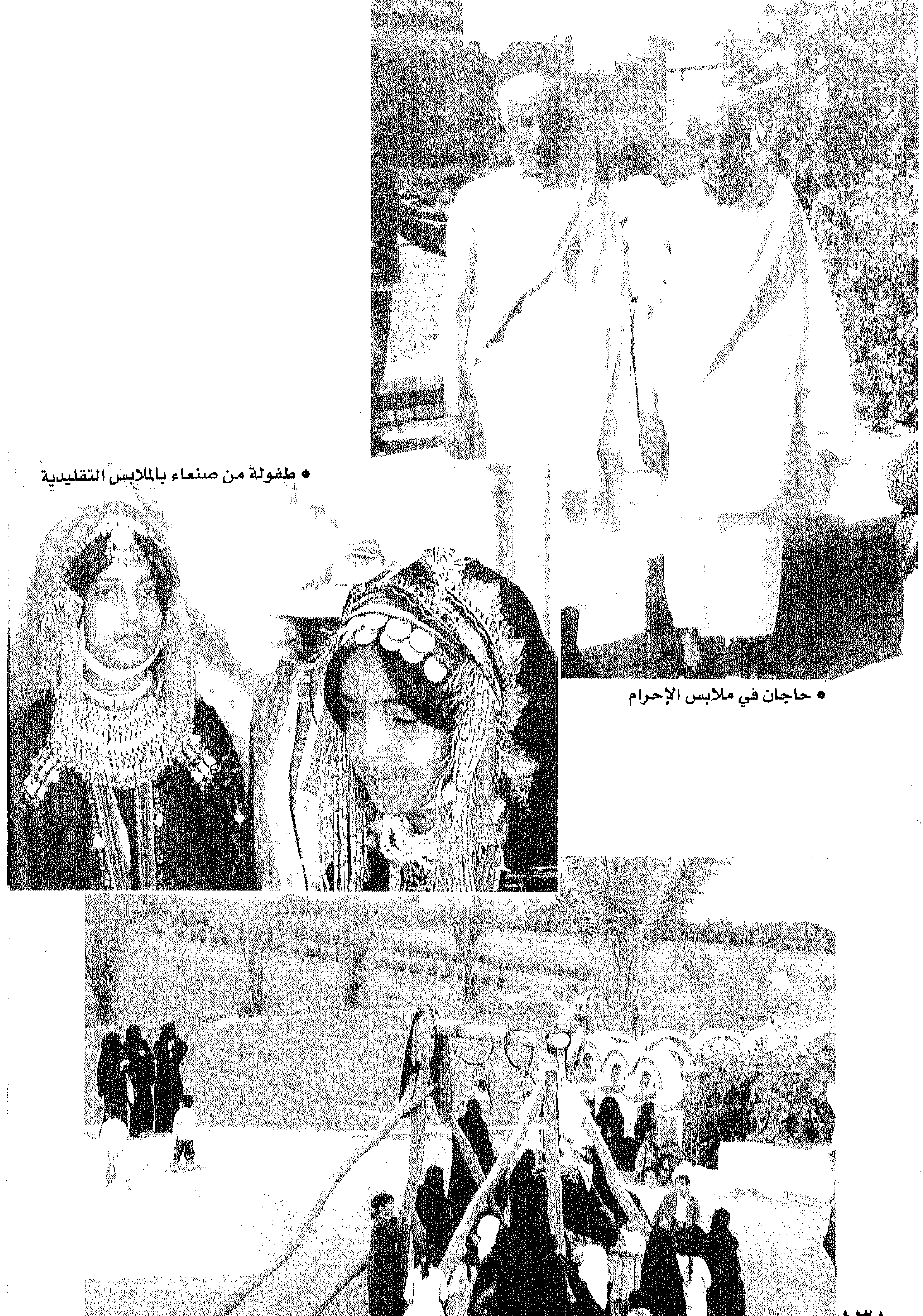
• رش ماء الورد على الحاضرات
في المولد النسائي

• المولد النسائي: النشدات
حفل استقبال الحاجة



• جزء من المولد الرجالي أداه
الأستاذ الفاضل النشاد يحيى المحفدي
مع بعض زملائه

• حضور المثقفات
د. أمنة النصيري - د. فوزية شمسان



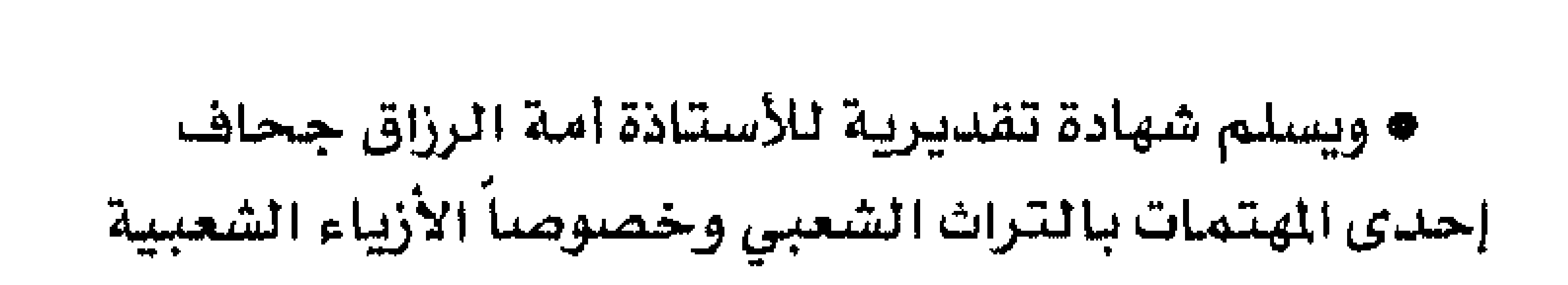
• طفولة من صنعاء بالملابس التقليدية

• حاجان في ملابس الإحرام



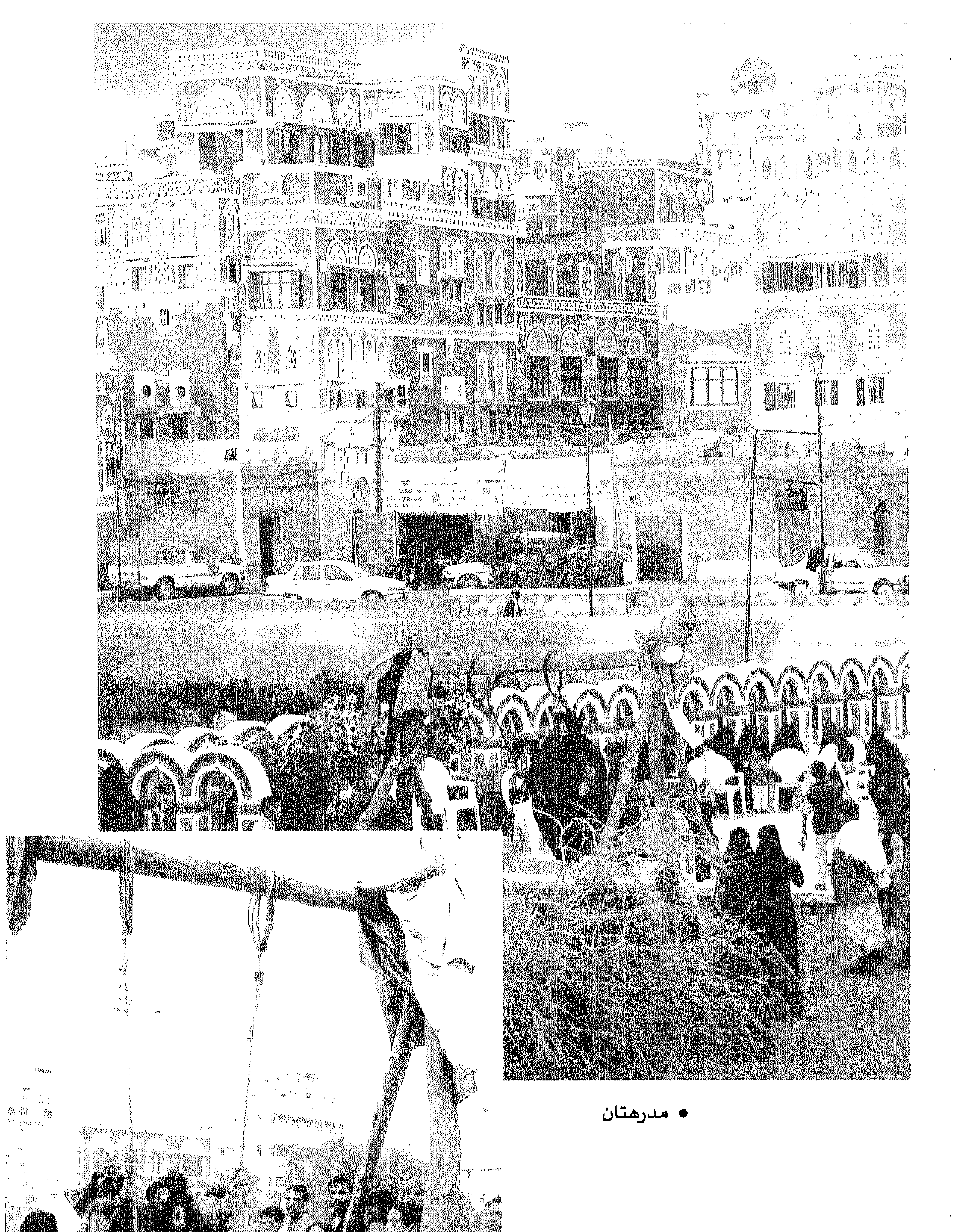
• الاستاذ محمد عبده سعيد
أحد رعاة المهرجان وهو يسلم الشهادات التقديرية
ومقدم الحفل الأستاذ عبدالقادر الشيباني

• وجه من صنعاء



• ويسلم شهادة تقديرية للأستاذة أمة الرزاق جحاف
إحدى المهتمات بالتراث الشعبي وخصوصاً الأزياء الشعبية





• مدرهتان



من تغاريد المدرهة
يا لمن ذي المدرهة
وصوتها شجاني
وصوتها شجى الجبال
ورعد الوديان
***
يا مدرهة سيري سواء
لا ترخي الحبال
لا ترخي الحبال السلب
فوقك ثقيلة غالي
***
يا حمامة عرفة
حومي وحومي
واعرفي لنا حجنا
هو طويل خضراني
واعرفي لنا وزرته
هي كلها بيضاني
واعرفي لنا عصيته
هي شوحط أو رماني
***
يا مبشر بالحجيج
بشارتك بشاره
بشارتك صفا اليمن
وتلحقه شراره
نداء :
المراسلة خطوة أولى لحماية
اجمع ودون ما تستطيع
وأرسله إلى بيت الموروث
CALL:
ondence: it is a first step towards
the protection of our folklore.
ollect and write down whatever you can of our folklore
and send it to the house of Folklore.